الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية ــ شعبة تاريخ

الموضوع

مدينة فاس وعلاقاتها بإفريقيا جنوب الصحراء

مابين القرنين 8/ 15م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص دراسات إفريقية

إعداد الطالبتان:

- بوحجر جهاد
- حوايج فاطـــمة

إشراف الأستاذ:

زرقوق محمد

السنة الجامعية: 2015- 2016 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية ـ شعبة تاريخ

الموضوع:

مدينة فاس وعلاقاتها بإفريقيا جنوب الصحراء

مابين القرنين 8/ 15م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص دراسات إفريقية

لجنة المناقشة:

الاستاذ(ة):.....رئيسا.

الاستاذ(ة):.....مقررا.

الاستاذ(ة):.....عضوا.

السنة الجامعية: 2015– 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

قال الله تعالى: ‹‹ وإن شكرتم لأزيدنكم ›› صدق الله العظيم.

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الإنسان و علمه البيان و الصلاة و السلام على الهادي أشرف المرسلين من حث الأمة على طلب العلم.

أما بعد :

نتوجه بكل الشكر و التقدير إلى الأستاذ المشرف زرقوق محمد الذي كان خير عون لنا في انجاز هذا العمل ولم يبخل علينا بالنصح و التوجيه و الإرشاد فلك منا جزيل الشكر و التقدير،

. ولا يفوتنا أيضا أن نقدم الشكر الجزيل إلى رئيس التخصص الأستاذ " نور الدين شعباني"على جهده ومتابعته لنا

إلى كل أساتذة شعبة التاريخ و كما نشكر الاستاذة الفاضلة: بوحجر منال و كل من

ساعدنا من قريب أو بعيد في انجاز عملنا.

الإهداء

إلى من قال فيهما الله تبارك و تعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين احسانا"

صدق الله العظيم

إلى التي جعل الله الجنة تحت اقدامها..... الى نور الحياة وسر الوجود... الى من ربتني واعانتني بالدعاوات والصلوات.....الى من كان دعائها سر نجاحي. الغالية على قلبي .....امي الحنونة **شريفة**.

إلى الذي أنار لي حياتي و مهد لي طريقي إلى طلب العلم.....المن تعب علينا وربان نعم التربية.....الى من افتخر به امام الكون.....الى اغلى انسان في الدنيا....ابي الرائع **موسى** أطال الله في عمرهما.

الى سندي فالحياة.....الى رفيق دربي وعمري.....الى الذي تطلع لنجاحي بنظرة امل.....الى زوجي الغالي **محمد كريم** حفظه الله لي ولي ذريتي.

الى قرة عيني وثمرة حبي اراني الله فيها الخير.....الى ملاكي النادر.....ابنتي " **تسنيم**".

إلى رمز فخري و عزتي احلى اخوة فالكون : **بلقاسم، وبلال، وخلود**. بارك الله لي فيهم.

الى كل أفراد عائلة حوايج و فلفول.

إلى كل الاحبة و الأصدقاء وعلى الخصوص: **اسيا، فاطمة، فلة، سمية، منى، أمونه ومريومة**. والى كل زملائي بالجامعة. إلى زميلتي في انجاز هذا البحث **بوحجر جهاد**.

و إلى من ساعدني و مد لي يد العون في انجاز هذا العمل أهدي ثمرة جهدي.

فاطمة

اهداء

الى من جرع الكاس فارغا ليسقيني قطرة حب الى من كلت انامله ليقدم لنا لحظة سعادة

الى من احمل اسمه بكل افتخار الى ينبوع العطاء و الطموح

والدي محمد العزيز

الى سندي و قوتي وملادي وسندي بعد الله الى نبع الحنان الذي لا يقف يوما

الى من بها و نصائحها توصلت الى مرادي هذا الى الغالية ورمز الحب و الحنان

امي نعيمة

الى القلوب الطاهرة و النفوس البريئة الذين يحملون في اعينهم ذكرياتي و طفولتي و شبابي

اخوتي منال وزوجها حسين، فاطمة الزهراء، ايمن عبد القادر، مريم غفران،رحيل

الى برعم وكتكوت العائلة محمد جواد

الى زوجي و سندي محمد رضا

الى جداتي عائشة حورية طومة اطال الله في اعمارهم جميع افراد العائلة وخاصة الكتاكيت ادم وايلاف

الى من عملت معها بجد لاتمام هذا العمل صديقتي فاطمة

الى اختي وصديقتي و رفيقة دربي ايمان

الى من تذوقت معهم اجمل اللحظات صديقاتي ايمان، خلود، اسيا، سومية،منى، امينة

الى كل من يعرفني من قريب او بعيد اهدي ثمرة جهدي

جهاد

مقدمة

مقدمة:

عرف المغرب الأقصى في العصر الوسيط، تأسيس عدة دول إسلامية، وتشييد عدة مدن وحواضر، ساهمت في ازدهار وتطور الحضارة الإسلامية. ومن هذه المدن، مدينة فاس التي أسسها الادارسة خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، ومنذ تأسيسها الى يومنا ،لازالت مدينة فاس منارة شامخة في بلاد المغرب، فقد اتخذ الادارسة من هذه المدينة عاصمة لمملكتهم، ورغم انتقال المرابطين ثم الموحدين الى مدن اخرى،فقد بقيت فاس مركزا علميا، واقتصاديا ومقصدا لطلاب العلم و للقوافل التجارية من كل انحاء المغرب، وقد تعدت شهرة مدينة فاس حدود المغرب الاقصى حيث كان لها علاقات متعددة مع عدة مدن و مراكز في المغرب الاوسط و المغرب الادنى، وحتى مع المدن و الممالك الواقعة في الصحراء الكبرى او جنوبها ومن هذه المناطق السودان الغربي الذي كانت تربطه بالمغرب الاقصى عدة طرق، و مسالك كثيرا ما سلكتها القوافل التجارية، و الحملات العسكرية.

وللتعرف اكثر على الصلات و العلاقات التي كانت بين مدينة فاس و ممالك السودان الغربي، انجزنا هذا البحث المتواضع الذي جاء تحت عنوان مدينة فاس وعلاقاتها بإفريقيا جنوب الصحراء (8م/15م)، وقد عالجناه من خلال الاشكالية التالية:

الاشكالية الرئيسية:

يتمحور الموضوع حول الاشكالية التالية:

كيف كانتعلاقة مدينة فاس بإفريقيا جنوب الصحراء خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الثامن والخامس عشر الميلادي؟

الاشكاليات الفرعية:

وتتفرع عن هذه الاشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤلات الفرعية التالية:

كيف كانت مدينة فاس من الناحية الجغرافية والتاريخية؟

وما هو الدور الذي لعبته مكانتها؟

فيما تمثل النشاط السياسي لمدينة فاس؟

ماهو الدورالاقتصادي الذي لعبته مع السودان الغربي؟

وفيما برزت علاقاتها الدينية والثقافية في افريقيا جنوب الصحراء؟

دوافع اختيار الموضوع:

ترجع اسباب اختيار الموضوع الى اسباب ذاتية وموضوعية كانت وراء اختيار موضوع الدراسة:

ذاتية:

- الاشارة الى موضوع يجهله البعض و يقول عنه البعض الاخر مهمش.
- كما ان من ضمن الاسباب الذاتية التعرف على الدور الذي لعبته فاس في افريقيا جنوب الصحراء.
- اثراء المكتبات بهذا النوع من الدراسات الخاصة بإفريقيا.
- زيادة الكم من الدراسات.
- محولة منا كشف ما ترتب عن العلاقات الرابطة بين فاس و السودان الغربي.

موضوعية:

- التعرف على مدينة فاس جغرافيا وتاريخيا.

- التطرق الى النشاط السياسي والاقتصادي لمدينة فاس.

- الكشف على الدور الديني والثقافي الذي لعبته فاس في جنوب الصحراء من افريقيا.

اهمية الموضوع:

يكتسب الموضوع اهمية كبيرة كون الدور الذي لعبه الموقع الجغرافي والتاريخي لمدينة فاس في تطويرها وربطها مع افريقيا جنوب الصحراء وتوطيد علاقتهما.

كما كانت لها سياسة داخلية وخارجية في عهد دويلاتها.

وايضا كانت لها علاقات اقتصادية متنوعة مع بلاد السودان.

كذلك من ضمن الاهمية نشرها للثقافة الدينية في افريقيا جنوب الصحراء.

اهداف الدراسة:

_ الاسهام في التعريف الجغرافي والتاريخي الذي تميزت به مدينة فاس.

_ الهدف الابعد من هذ الدراسة هو نشاطها السياسي الداخلي والخارجي الذي قامت به دويلاتها.

_ مكانتها الاقتصادية التي انمت علاقتها مع افريقيا جنوب الصحراء.

_ ثقافتها الدينية التي ادت الى نشر الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء.

_ نامل ان يساهم هذا البحث في كشف العلاقات التي كانت تربط مدينة فاس مع افريقيا جنوب الصحراء.

خطة البحث:

وللإجابة على الاشكالية المطروحة اتخذنا الخطة التالية التي تتضمن مقدمة وثلاث فصول وملاحق وخاتمة.

الفصل الاول: والذي جاء تحت عنوان لمحة جغرافية وتاريخية لمدينة فاس، حيث تطرقنا فيه الى الموقع والثروات التي تتمتع بها مدينة فاس وبالإضافة الى لمحة تاريخية عن مدينة فاس.

المبحث الاول: لمحة جغرافية لمدينة فاس.

المبحث الثاني: لمحة تاريخية لمدينة فاس.

الفصل الثاني: تطرقنا فيه الى النشاط السياسي الذي عرفته مدينة فاس في عهد الدارسة والمرابطين والموحدين كما تحدثنا على العلاقات الاقتصادية الرابطة بين فاس والسودان الغربي. حيث يتضمن ثلاث مباحث:

المبحث الاول: النشاط السياسي لمدينة فاس.

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية

المبحث الثالث: الطرق والمراكز التجارية

الفصل الثالث:تطرقنا فيه الى العلاقات الدينية والثقافية التي عرفتها فاس ونشرتها في افريقيا جنوب الصحراء. حيث تضمن مبحثين وهي كالاتي:

المبحث الاول: العلاقات الدينية.

المبحث الثاني: العلاقات الثقافية.

المنهج المتبع:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي والتحليلي، الذي يتماشى مع الدراسات التاريخية، وذلك بوصف الحدث التاريخي ثم تحليله قصد الوصول الى نتائج.

المصادر والمراجع:

وفي معالجتنا للموضوع اعتمدنا على عدة مصادر ومراجع اهمها:

ومن اهم المصادر التي اعتمدنا عليها كتاب وصف افريقيا ، للوزان حسن بن محمد الفاسي، وكتاب الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، وكذلك كتابالجغرافياللزهري (ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ت اواسط القرن 6هـ/12م)، وايضا كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغربللبكري (ابو عبيد بن عبد العزيز 487هـ/1094م).

اما عن المراجع كان من ابرزها والذي اخذ قسطالابأس به من هذه الدراسة هو كتاب مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 408هـ/1056م، الى 668هـ/1269م، دراسة سياسية وحضارية، الدكتور طه احمد جمال. وكتاب الادارسة 270/172هـ، الدكتور

اسماعيل محود. وكذلك كتاب (لمحة عن تاريخ القارة الإفريقية)،معهد البحوث والدراسات الافريقيةلدكتور رجب محمد عبد الحليم والجمل شوقي واخرون.

وكذلك الرسائل الجامعية منها رسالة ماجستير بعنوان علاقات ممالك السودان الغربي واثارها الحضاري بين القرنين الخامس والتاسع الهجرييندكتور شعباني نور الدين، وكذلك رسالة ماجستير بعنوان دور الطريقة القادرية في غرب افريقيا بين القرنين 15و18م،لمصطفاوي سعاد.

والقائمة يطول ذكرها لذا عدنا الى عدة كتابات عامة ومتخصصة ودراسات علمية وأكاديمية متخصصة ومعتمدة على منهج البحث العلمي الاكاديمي افادتنا في موضوعنا علاقات فاس بجنوب الصحراء لإفريقيا.

الصعوبات والعراقيل:

مهما اجتهد الباحث فانه يجد نفسه امام مجموعة من العراقيل والصعوبات التي تؤثر على مسيرة العمل المتواصل لذا وجدنا عدة صعوبات منها:

_ الموضوع حساس جدا.

_ عدم القدرة في الحصول على معلومات تتعلق بالموضوع نظرا لقلة وانعدام المراجع المتخصصة في الموضوع.

_ صعوبة تنقل الباحث.

_ هيكلة الموضوع المقترح للدراسة والبحث وكيفية التكلم فيه حتى تكون معلومات متكاملة ومتناسقة فيما بينا.

_ الى جانب ضيق الوقت.

تشعب وتنوع المعلومات صعب من هيكلة العمل.

وخلصنا في اخر الدراسة الاستنتاج رئيسي يتمثل في ان مدينة فاس في التطور الاقتصادي والديني في افريقيا جنوب.

كما لا ننسى في الاخير ان نشكر الاستاذ المشرف على التوجيهات والتصويبات التي لم يكن يبخل بها علينا، كما نتمنى ان يكون هذا العمل المتواضع عند حسن ظن اساتذتي ومن يطلعون عليه كمساهمة في اثراء المكتبة الجامعية.

الفصل الأول:لمحة جغرافية وتاريخية لمدينة فاس

المبحث الأول: لمحة جغرافية لمدينة فاس

المطلب الاول: التحديد الجغرافي لمدينة فاس

المطلب الثاني:التضاريس و المناخ

المطلب الثالث:وصف مدينة فاس

المبحث الثاني:لمحة تاريخية لمدينة فاس

المطلب الاول: بناء مدينة فاس في عهد الادارسة

المطلب الثاني: تطور مدينة فاس في عصر المرابطين

المطلب الثالث: تطور مدينة فاس في عصر الموحدين

فاس هي مدينة كبيرة جدا ، تحيط بها أسوار متينة عالية و تكاد تكون كلها مشيدة على تلال بحيث ان وسطها وحده هو المستوي ، و تبتدئ من نهر أم الربيع غربا تنتهي إلى ملوية شرقا ، وفي الشمال نجد قسم منها بالبحر المحيط و سائرها بالبحر المتوسط ، كما أنها هي عاصمة الدولة الإدريسية و أول مدينة إسلامية في المغرب ، كما أنها شهدت استقرارا كبيرا خلال حكم المرابطين، وبعدهم جاء الموحدون من الجنوب واستولوا عليها .

المبحث الأول: لمحة جغرافية لمدينة فاس

المطلب الأول: التحديد الجغرافي لمدينة فاس

تمتعت فاس بموقعها الجغرافي الممتاز وسط المدن والمراكز المختلفة في المغرب ، حيث تقاطع فيها خطوط الاتصال بين الشرق والغرب والشمال والجنوب فهي تقع عند ملتقى طريقين رئيسيين حددتها طبيعة الأرض هنا ، في أقصى المضيق الجبلي الذي تحرس تازا مدخله الشرقي . كما أنها تقع في النهاية الغربية لسهل السياس الغني على موضع من وادي فاس، ويشق في وسطها نهر سبو[1] الكثير الماء[2].

تدخل مدينة فاس ضمن المنطقة التي تقع بين خطي عرض 28درجة و36درجة شمالا، وخطي طول 12درجة و11درجة غرب[3].

1- نهر سبو: من اشهر انهار بلاد المغرب، يمرعلى مدينة فاس،انظر الزهري (ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ت اواسط القرن 6هـ/12م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.ص140.

2- طه جمال احمد: فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، اسكندرية، 2001م. ص54-55.

3- نفس المرجع ص55.

المطلب الثاني: التضاريس والمناخ

-1- التضاريس

تحيط مدينة فاس مرتفعات وجبال من كل جهة باستثناء الجهة الجنوبية ففي شرقها جبل مديونة الذي يمتد الى الجنوب، ويتصل هذا الجبل بجنوبه بجبل درن، وفي شمالها يقع جبل زرهون وزالغ، وتقع جبال عمارة فالغرب من مدينة فاس[1].

-2- المناخ

تتأثر مدينة فاس الى حد كبير بمؤثرات مناخ البحر المتوسط الذي تتمثل فيه ثلاث صفات رئيسية وهي: سقوط الإطار في فصل الشتاء ودفئة، وجفاف فصل الصيف، وارتفاع درجة حرارته، ووجود نسبة عالية من ساعات النهار المشمسة.

وتميزت فاس باعتدال حرها وبردها، كما يعتدل مناخها في فصلي الخريف والربيع[2]. وقد يعتدل فيها الفصلان: الخريف والربيع في أوقاتهما، فيكون دخول الخريف الى الشتاء غير متباين الهواء، وكذلك كل فصل يتنقل من هواء الى هواء ومن زمان الى زمان بالتدريج[3].

1- طه جمال احمد: المرجع السابق.ص 55.

2- نفسه

3- الجزنائى علي: جنى زهرة الآسفي بناء مدينة فاس، تحقيق: ابن منصور عبد الوهاب، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1411هـ/1991م. ص36.

المطلب الثالث: وصف مدينة فاس

تعد مدينة فاس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى ويسكن حولها قبائل من البربر، وهي مدينتان بينهما نهر كبير يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة، فالمدينة الشمالية منها تسمى القرويين وتسمى الجنوبية الأندلس[1].

وعلى حسب مارمول كربخال مدينة فاس اكبر وأجمل مدينة بإفريقيا كلها وتنقسم الى ثلاث أقسام، أو بالأحرى إلى ثلاث مدن جمعت في واحدة وتحمل نفس الاسم وهو مدينة فاس[2].

-1- أقسامها

*** البليدة:** هذا أول وأقدم قسم أسس في مدينة فاس، ولو انه غير عامر جدا وهو واقع وراء النهر في اتجاه الشرق (شرقي النهر)، يضم حوالي أربعة آلاف نسمة، ومسجدا كبيرا يسمى جامع الأندلس ومباني جميلة عتيقة وساحات عديدة متفرقة في المدينة كلها[3].

*** فاس البالي(عين علو):** يقع فاس البالي غربي النهر على تلال في شعاب وتحيط به أسوار قديمة محصنة ببروج من صنع جيد لها سبع أبواب وتنقسم هذه المدينة الى اثني عشر حي لكل واحد حاكم من الأعيان، وتضم ثمانين الف نسمة وفيها جامع القرويين العظيم[4].

1- الادريسي(ابو عبد الله محمد الشريف الادريسي): نزهة المشتاق في اخترق الافاق. ص57-58.(د ن) (د م) (د ت).

2- مارمول كربخال: افريقيا، ترجمة:محمد حجي، محمد زينر واخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص144.

3- نفس المرجع: ص155.

4- جامع القرويين: ابهى واعظم جامع بإفريقيا كلها، اسسه الامام ادريس الثاني، انظر: مارمولكربخال: المرجع السابق. ص146.

***فاس الجديد:** تقع منعزلة شيئا ما في سهل على ضفة النهر[1]. يحيط بها سور مزدوج متقن الصنع، ومحصن على شكل قلعة يسكنه أكثر من ثمانية آلاف نسمة، تنقسم إلى ثلاثة أحياء، اسماها مؤسسها المدينة البيضاء، لكن أطلق عليها اسم فاس الجديد[2].

2- تخطيطها

لم يكن العرب يقيمون المدن اعتباطا، إنما يمارسون ذلك بعد ان يرسموا خطتها التي على أساسها تنشأ ويمكن ان تعد مدينة فاس نموذجا جيدا لتخطيط المدن الإسلامية التي أنشاها العرب في الأقطار المختلفة[3].

***الجوامع والمساجد:** في فاس حوالي سبعمائة جامع ومسجد، والمساجد أماكن صغيرة للصلاة، ويوجد من بين هذه الجوامع خمسون كبيرة حسنة البناء[4]. حيث كانت تشكل وظيفيا وعمرانيا نواة المدينة " فما ان أسس الإمام إدريس الثاني عدوة الأندلس[5] حتى بنى بها جامعا برحبة البئر وهو المعروف بجامع الأشياخ. وبعد ان أسس عدوة القرويين اخذ في بناء جامعها والمسجد المعروف بجامع الشرفاء"[6].

***الأسوار والأبواب:** بعد ان أسس الإمام إدريس الثاني عدوة الأندلس أدار السور عليها مبتدأ من جهة القبلة، وعندما أسس عدوة القرويين أدار عليهما السور ابتدأه من راس عيون علون.

1-مارمول كربخال: المرجع السابق. ص155.

2- الوزان حسن بن محمد الفاسي: وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت، 1989م، ج1. ص281-282.

3- طه جمال احمد: المرجع السابق. ص36.

4- الوزان حسن بن محمد: المصدر السابق. ص223.

5- انظر الملحق: رقم1 ص82.

6- طه جمال احمد: المرجع السابق. ص36.

وتميز أسوار[1] مدينة فاس بالمناعة والارتفاع[2]، حيث كانت تمثل حزاما دفاعيا حول المدينة[3].

وفتحت في هذه الأسوار بعض الأبواب، ففي عدوة الأندلس تذكر المصادر ستة أبواب لهذه العدوة وهي: باب القبلة، باب الفوارة، باب المخيفة، ، باب أبي سفيان، باب الكنيسة[4]،باب الشيبوبة[5].

كذلك فتحت في أسوار عدوى القرويين ستة أبواب وهي: باب افريقية، باب القرش، باب الفيصل، باب الفرج، باب الحديد[6]، وباب القلعة[7].

وكان الهدف من فتح الأبواب بسور المدينة تنظيم الاتصال مع مختلف الجهات الخارجية عن نطاق السور[8].

-3- الأنهار والعيون

يمر في وسط فاس البالي نهر ينبع على بعد ثلاثة فراسخ من هناك قرب محل صغير يسمى عين الخميس وبعد ان يخترق سهلا كبيرا يسيل بين تلال. ومن هناك يصل الى البساتين الواقعة أمام باب الحديد وينقسم هناك إلى فرعين يدخلان إلى المدينة من موضعين، ثمن يخترقان المدينة معا ويخرجان إلى باب الغدر، وبعد ذلك يصبان في نهر سبو الكبير، على

1- انظر الملحق: رقم2، ص83.

2- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م،ص42.

3- طه احمد جمال: المرجع السابق. ص47.

4- انظر الملحق: رقم3،ص84.

5- – ابن ابي زرع: المصدر السابق. ص47.

6- انظر الملحق: رقم4. ص85.

7- ابن ابي زرع: المصدر السابق. ص40-41.

8- سجلماسة: مدينة بالمغرب الاقصى في اول الصحراء بنيت عام 190م بينها وبين فاس ثلاثة عشر مرحلة وهي مدينة سهلية مبنية على نهرين، حولها ارباض كثيرة ويربطها طريق تجاري ببلاد السودان. انظر :طه جمال احمد. ص70.

بعد ميل ونصف من المدينة. وهناك نهر آخر يسمى وادي فاس[1]. والذي ربما تكمن أهميته في الاعتماد عليه في الإرواء الزراعي[2]، وينحدر عبر سهل جميل يدخل إلى فاس الجديد من من باب السبع المؤدي الى فاس البالي عندما يمر بين السورين، يسيل في البساتين الواقعة أمام باب الحديد، ويرتمي من هناك خارج المدينة عبر حدائق جميلة إلى ان يصب في نهر سبو[3].

بالإضافة إلى انه توجد بفاس الجديد عدة سقايا أصلها من منبع واحد غير بعيد من هناك، كما توجد عدة سقايا بفاس البالي، ماؤها بارد جدا ومنبعها كلها بين الأسوار ومن شتى الأنابيب والقنوات التي تحمل ماء النهر الى المساجد والمدارس والحمامات واهم المنازل.

وفي البليدة الواقعة أمام النهر، ستمائة عين كلها مسورة ومغلقة بالأقفال، لان الماء يسير منها الى فاس البالي عبر مجار وهو شديد البرودة في الصيف[4]. وهذا الماء مرغوب فيه أكثر من ماء النهر، ومعظم هذه العيون في غرب المدينة وجنوبها لان القسم الشمالي كله واقع في جبل من حجر كلسي[5].

-4-الحدائق والبساتين

تقوم في شمالي فاس وشرقيها وجنوبيها حدائق في غاية الجمال مليئة بالأشجار المثمرة المختلفة الأصناف[6]، وتحيط بها عدة سواق تؤخذ من النهر، تشكل هذه الأشجار غابة كثيفة

1- كربخال مارمول: المرجع السابق، ص158-159.

2- سوادي عبد محمد والحاج عمار صالح: دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ط1، القاهرة، 2004م. ص36.

3- كربخال مارمول: المرجع السابق. ص159.

4-نفسه.

5- الوزان حسن بن محمد الفاسي: المصدر السابق. ص247-248.

6- نفس المصدر. ص281.

كثيفة من جميع الجوانب لا يستطيع الخروج منها إلا في شهر ماي وهو أبان الكشف عن جذورها وحرتها، لكن البساتين تسقى كل يوم[1].

وتقع في غربي فاس ارض(زواغة) عرضها نحو خمسة عشر ميلا وطولها نحو ثلاثين ميلا، تكثر فيها العيون والجداول وتعد من أملاك الجامع الكبير(القرويين)، يكتري هذه الأرض بستانيون يزرعون فيها كمية وافرة من الكتان والبطيخ والقرع والخيار والجوز واللفت والكرمب والخس وغيرها من الخضر[2].

أما القسم الجنوبي للمدينة يكاد يكون غير مسكون، ويحتوي على كثير من البساتين المليئة بمختلف الأشجار المثمرة الممتازة كالبرتقال والليمون الحامض الاترج، وبالأزهار الجميلة كالياسمين والورد الدمشقي والوزال المجلوب من أوروبا الذي يستحسنه المغاربة كثيرا، وتزدان هذه البساتين بأروقة جميلة وصهاريج وأحواض يحيط بها الياسمين والورد وزهر الليمون، وقد اعتاد الأعيان أن يقيمون بها من أوائل أفريل إلى نهاية سبتمبر[3].

1- كربخال مارمول: المرجع السابق. ص162.

1- الوزان حسن بن محمد الفاسي: المصدر السابق. ص281.

3- كربخال مارمول: المرجع السابق. ص248.

المبحث الثاني: لمحة تاريخية .

المطلب الأول : بناء مدينة فاس في عهد الأدارسة .

يعود تاريخ بناء مدينة فاس[1] في ق8-15م إلى الدولة الإدريسية التي أسسها إدريس[2]

في المغرب الأقصى[3]، و كانت عاصمة مدينة وليلي، وبعد وفاته انتقل العرش إلى ابنه إدريس الثاني الذي قرر بناء عاصمة جديدة لمملكته، و الرواية الشائعة أن إدريس الثاني هو مؤسس مدينة فاس سنة 808م/192هـ، و اتخذها عاصمة لدولته وقد بناها فوق هضبة سايس التي تتوفر على إمكانات فلاحية ومائية مهمة، و تقع في ملتقى طرق القوافل التجارية التي تربط بين السودان و فاس، إذ شيد عدوة الأندلسيين سنة 192هـ ثم عدوة القرويين في العام التالي، لكن هناك نظرية أخرى جديدة تقول: أن إدريس الأول[4] هو الذي أسس المدينة سنة 172هـ في الموضع الذي يحوي على عدوة الأندلسيين، أما إدريس الثاني[5]، فقد أسس عدوة القرويين سنة 193هـ غربي مدينة أبيه على الضفة اليسرى من وادي فاس إذا استبعد أن يؤسس إدريس الثاني مدينتين متجاورتين في أن واحد[6]، وقد دعم نظريته ببراهين منطقية ونصوص تاريخية هامة، فضلا عن عثوره على عملت ضربت بالمدينة سنة 172هـ تحمل

1- فاس:المعجب في تلخيص أخبار المغرب هي حضارة بلاد المغرب في وقتنا هذا وموضع العلم وهي مكان اجتماع العلماء وأخصب الجهات و تتخللها انهار،انظر عبد الواحد المراكشي.ص178.

2- إدريس:هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو من أقرباء اللخليفة هارون الرشيد،لأنه من أحفاد علي ابن عم محمد عليه السلام و أول من دخل فاس،انظر الحسن بن محمد الوزان الفاسي،المرجع السابق. ص219.

3- إسماعيل محمود: الادارسة 172-375هـ، حقائق جديدة، مكتبة مديولي، القاهرة، 1991.ص09.

4- إدريس الأول: هو المولى إدريس بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قتل بالسم في ربيع الثاني عام 177هـ/793م،انظر الحسن بن محمد اوزان الفاسي،المرجع السابق.ص220.

5- إدريس الثاني: هو الحاكم الثالث للدولة الادريسية من 213هـ-221هـ وهو الإمام محمد بن إدريس مدة حكمه 8أعوام.

6- الوزان حسن بن محمد: مرجع سابق. ص 219.

اسم إدريس الأول[1]، و تذكر الروايات المتعلقة ببناء المدينة أن إدريس خرج في شهر محرم من عام 191هـ/نوفمبر806م، يختار لنفسه موضعا فوصل إلى وادي سيو فأعجبه الموضع لقربه من الماء، فعزم على أن يبني به المدينة و شرع في ذلك لكنه في زمن الشتاء خاف على الناس، الهلكة ففر منها و رجع إلى مدينة وليلي[2]، و لكنه سرعان ما طلب الإمام إدريس الثاني من وزيره عمير بن مصعب الازدى أن يتخير موضعا لمدينته الجديدة، فسار عمير في جماعة من قومه لينظر ما طلب فاخترق النواحي حتى وصل إلى العيون التي يخرج منها نهر فاس، فاستطاب الماء و سار على السير حتى وصل إلى موضع مدينة فاس و عندما عاد عمير إلى الإمام إدريس اعلمه بما راه ، من الأرض فتعجب الإمام إدريس من ذلك، فسال عن أصحاب الأرض فقيل له أقوم من زواغة يعرفون بني برغش، بني الخبر فبعث إليهم و اشترى منهم موقع المدينة و ذلك في سنة191هـ 806، 807 م و شرع الإمام في البناء و هكذا تم الاتفاق بين الإمام إدريس الثاني و وزيره على اختيار الموضع المناسب لإقامة المدينة نهائية[3]، ولما عزم الإمام إدريس رضي الله عنه على بناء مدينة فاس بعد أن اختبر تربتها و هوائها و رياحها و مائها و تحقق بعدها من الصحراء و البحار، و الجبال الشامخة و علم أن ذلك مما يامن به مكانها، رفع يده إلى السماء وقال: اللهم اجعلها دار علم، رفقة كتابك، وتقام بها سنتك، بجدودك، و اجعل أهلها متمسكين بالسنة و الجماعة ما أبقيتها ثم قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ و الحمد لله و الأرض لله[4].

كما يقال انه اختلف الناس في السبب الذي سميت من اجله، فقيل أن إدريس رضي الله عنه لما شرع في بنائها كان يعمل بها الصناع والفعلة والبنائين تواضعا منه لله تعالى ، ورجاء الأجر و الثواب و تزعم الرواية انه صنع له بعض خدمته فاسا من ذهب و فضة

1- اسماعيل محمود: مرجع سابق، ص59.

2- وليلي: هي قاعدة جبل زرهون، وهي ارض خصبة كثيرة المياه و الفروس و الزيتون و كان لها سور عظيم من بنيان الأوائل.

3- طه جمال احمد: المرجع السابق. ص 45.

4- نفس المرجع.ص43.

فكان إدريس رضي الله عنه يمسكه بيده و يبدأ الحفر، فكثر عند ذالك الفاس على ألسنتهم في طول مدة البناء فكان الفعلة يقولون هاتوا الفأس، خذوا الفأس احضروا الفأس، فسميت مدينة فاسا اجل ذلك[1]، كما أن مدينة فاس تمت بسرعة حيث عمرت الأرض بالزراعة و كثرت الخيرات، وزادت العمارات، وقصدها جميع الناس من كل البلاد من تجار و أهل الصناعات، كما أن إدريس بن إدريس عاش 20 عاما بعد أن وضع حجر الأساس لمدينته العربية[2].

فبعد وفاة الإمام إدريس بن إدريس في عام213هـ/828م تولى الإمامة بعده ابنه محمد الذي قسم دولة الأدارسة بين إخوته وأقام هو، بمدينة فاس، إلى أن توفي عام 221هـ/ 832، 738م، فبويع لابنه علي بالولاية، من بعده، وفي أيام علي بن محمد بن إدريس اتسمت فاس بالأمن، حتى توفي في شهر رجب 234هـ/ فيفري848م وقام بأمر الأدارسة من بعده يحي بن محمد بن إدريس، و اتسمت فترته بسوء التسيير، إلى أن بويع يحي بن القاسم أمير على فاس و الذي قام بتعميرها، إلى أن قتل سنة 292هـ/ 904، 905 م فتولى بعده يحي بن إدريس جميع أعمال المغرب وحكم مدينة فاس من عام 292 هـ / 905 م إلى سنة 305 هـ / 917 م[3].

1- ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق. ص 50.

2-طه جمال: مرجع سابق ص 48.

3-المرجع السابق. ص53.

المطلب الثاني: تطور مدينة فاس في عهد المرابطين .

تمكن يوسف بن تاشفين[1] في سنة 462هـ من الاستيلاء على مدينة فاس، هذا و قد حمل يوسف بن تاشفين ملك لمتونه على الأميرتين بجيش عظيم فتمكن منهما و قتلهما شر قتلة وهلك معظم سكان المدينتين حينئذ و نهبت العدوتان وبلغ عدد القتلى ثلاثين ألفا و قرر الملك يوسف جمع السكان في مدينة واحدة و هدم الأسوار التي كانت تفصل المدينتين إحداهما عن الأخرى، وهكذا أصبحت المدينتان مدينة واحدة قسمت إلى عشرة أحياء و بتعبير أدق عشر نواح[2].

لم تكن مدينة فاس عاصمة للمرابطين، و لكن كانت إحدى مدنهم الرئيسية فهي وان كانت مدينة لإدريس الثاني بنشأتها الأولى، فان يوسف بن تاشفين هو مؤسسها الثاني، حيث اهتم ابن تاشفين بمدينة فاس، على الرغم من اتخاذه مدينة مراكش، عاصمة لدولته، فلم يكد يستقر بفاس حتى أدرك الوضعية المتناقضة للمدينتين المتلاحقتين، تلك الوضعية التي كانت تشعر سكان العدوتين بضيقهما، ولا شك أن ابن تاشفين استجاب لهذا الإحساس، فأمر بهدم الأسوار التي كانت تفصل بين القرويين و الأندلس من عدوتها، و ربطهما بعدة قناطر،و أصبحوا مدينة واحدة[3].

لم يكن يوسف بن تاشفين يستطيع أن يقضي على الخلافات القائمة بين المدينتين دفعة واحدة، حيث سكان المدينتين من عناصر مختلفة فكان توحيد المدينة يواجه مصالح مادية و معنوية، لايمكن أن يوقفها عند حدها اقل من يوسف بن تاشفين، وفي نفس الوقت قام يوسف بن تاشفين بإدارة الأسوار على مدينتين حيث جعلها سورا واحدا و أصلح أسوارها،

1- يوسف بن تاشفين: امير المسلمين ابو يعقوب يوسف بن تاشفين ابن ابراهيم اللمتوني الصنهاجي قائد و امير المسلمين وحد المغرب وفاس وضم الاندلس تحت ملكه و سلطته

2- بن المنصور عبد الوهاب:قبائل المغرب المطبعة الملكية دار النشر الرباط الجزء الاول،1388-1968.ص123.

3- المرجع السابق،ص125.

والتي كانت في المعتقد أنها هدمت قبل دخول المرابطين[1]، ولا شك أن ابن تاشفين أراد من ذلك أن يتخذ صيغة الجدار الدفاعي و التحصين العسكري خوفا من مباغتات زناتية مفاجئة وعمل يوسف بن تاشفين على تحويل فاس إلى قاعدة عسكرية فأصبحت فاس معه القاعدة الرئيسية لعمليات المرابطين فكان يتخذ من مدينة فاسا دائما قاعدة أساسية لغزواته ، لان المرابطين قد اهتموا بالشؤون العسكرية أكثر من اهتمامهم بالشؤون الدينية [2].

إلى جانب ذلك أسس ابن تاشفين بمدينة فاس القلعة داخل أسوار المدينة ، وفي وسطها قلعة المرابطين التي كانت في أعلى الحي الذي يسمى القطانيين ، و بهذا اتجه ابن تاشفين منذ اللحظة التي دخل فيها فاس إلى بناء المساجد و تطلبت عملية الإنشاء أن يقيم ابن تاشفين بفاس منذ فتحها في جمادى الثاني عام 462هـ/مارس1070م إلى شهر صفر من عام 463هـ/نوفمبر1070م وبهذا ندرك أن العاهل المرابطي الأول كان احد الرواد الكبار لتنمية فاس سياسيا[3].

و كانت الحروب بين المرابطين و الموحدين سجالا حتى اندلعت بينهما معركة فاصلة بتلمسان، انهزم فيها المرابطون و فر ملكهم تاشفين إلى إحدى الحصون المبنية على وهران فقتل به في 23 مارس 1145، 27 رمضان539هـ وهو ينتظر رد قطع الأسطول التي ستنقله إلى الأندلس أو المغرب، فتولى الملك بعده ولى عهده إبراهيم، ولكنه كان عاجزا عن التدبير فخلعه المرابطون وولوا مكانة عمه إسحاق بن علي، ولكن الموحدين لم يتركوا لهم مهلة يستجمعون فيها أمرهم فقد استولوا على فاس سنة540/1145هـ ثم زحفوا على مراكش فدخلوها في مارس1147/شوال 541هـ[4].

1- المرابطون: أطلق عليهم اسم المرابطين لأنهم تتلمذوا على يد عبد الله بن ياسين في الرباط و لعبت دورا كبيرا في الصحراء،محمد شوقي: تاريخ المسلمين في إفريقيا و مشكلاتهم ،ص50.

2- بن المنصور المرجع السابق،ص132.

3-نفسه،ص132.

4-بن المنصور عبد الوهاب:المرجع السابق.ص132.

المطلب الثالث: تطور مدينة فاس في عهد الموحدين

لم يكد ينعم المغرب الأقصى و مدينة فاس بالاستقرار في ظل المرابطين، حتى ظهرت الدولة الموحدية والتي عن طريق عبد المؤمن وهو الذي، أدى إلى سقوط دولة المرابطين، وبنت على أساسها دولة الموحدين و التي سيطرت على بلاد المغرب بعد اقل من قرن الزمان من دخول يوسف بن تاشفين مدينة فاس حيث استطاعت مدينة فاس أن تقاوم الموحدين على الرغم من الحصار، الشديد الذي تعرضت له من جانبهم[1].

ففي عام 540هـ حضر عبد المؤمن قائد الموحدين إلى مدينة فاس لفتحها لكن قوات المرابطين كان لها رأي أخر فحاصرها عبد المؤمن[2] على أمل استسلام المدينة، حيث غضب عبد المؤمن من المقاومة الصلبة التي وجدها داخل المدينة فأمر بتخريب قصبة المرابطين و سور المدينة فحدث تدمير كبير لمدينة فاس على يد الموحدين[3]، الذين لم يتخذوها عاصمة لهم إنما جعلوا مدينة مراكش قاعدة لهم، ولدولتهم الناشئة، ولكنهم كانوا مثل المرابطين في احتياج مدينة فاس، ليجعلوا منها قاعدة رئيسية يعتمدون عليها في أعمالهم الحربية، فاضطروا إلى إعادة بناء ما حطموه وقام محمد الناصر الخليفة الرابع للموحدين، 595م613هـ بإحاطة مدينة فاس بأسوار قوية و متينة و جعل لها أبواب[4]، فاس بأسوار قوية و متينة و جعل لها أبواب[5]، وعلى هذا يعتبر الخليفة الناصر الموحدي أكثر خلفاء الموحدين اهتماما لمدينة فاس .

1- طه احمد جمال المرجع سابق ص98.

2- عبد المؤمن :هو بن علي الكومي وهو الذي كان على يده انقراض دولة المرابطين حيث ذهب إلى مراكش وتمت بيعته، سنة542،الكناني علي بن المنتصر .ص162.

3- الموحدين: هم من سلالة امازيغية حكمت بلاد المغرب،خاصة فاس ،أسسها محمد بن تومرت .

4- الوزان حسن بن محمد ، المصدر سابق ص 100.

5- ابن عذاري(ابو عبد الله المراكشي): البيان المغرب في اخبار الاندلس و المغرب، بيروت، ص130.

مما سبق يتضح لنا بان مدينة فاس تتميز بموقعها الجميل الذي تحيط به التلال من كل جانب، و تتكون من قسمين: فاس البالية اي القديمة، و التي تعد من القرون الوسطى والتي ما زالت ماهولة، و فاس الجديدة التي تكونت سنة 1276 وتوسعت جنوبا كما أنها قد شهدت عدة دويلات من أدارسة المؤسسين و المرابطين و الموحدين الذين تركو أثرا كبيرا من جميع النواحي[1] .

1_ ابن عذاري: المصدر السابق. ص131

الفصل الثاني:النشاط السياسي لمدينة فاس

المبحث الأول:النشاط السياسي لمدينة فاس

المطلب الاول: في عهد الادارسة

المطلب الثاني: سياسة المرابطين في فاس

المطلب الثالث: الحياة السياسية لمدينة فاس في عهد الموحدين

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية لمدينة فاس مع السودان الغربي

المطلب الاول: الحياة الاقتصادية

المطلب الثاني: الطرق و المراكز التجارية بين فاس و السودان الغربي

المطلب الثالث: المبادلات التجارية

لقد شهدت مدينة فاس في عهد الدويلات عدة أنظمة سياسية متنوعة من الناحية الداخلية و الخارجية، كما أن هذه الدويلات كانت لها حياة اقتصادية متنوعة، مع العلم آن مدينة فاس تتمتع بعدة ثروات طبيعية، فكانت هناك صلات تجارية بينها وبين السودان الغربي، بالإضافة إلى وجود عدة مراكز وطرق تجارية.

المبحث الأول : النشاط السياسي لمدينة فاس .

المطلب الأول: في عهد الأدارسة :

يبدو أن السياسة التي اعتمد عليها إدريس الثاني في العناصر العربية الوافدة إلى مدينة فاس، قد أثارت البربر، ولكن تمكن من تحقيق الموازنة بين قبائل البربر باستعماله لقبيلة زناته ضد قبيلة أوربة، كما تمكن من إصلاح ذات البين بين القبائل الزناتية كما استفادوا من جميع العناصر الأخرى من فرس وعرب، و حتى اليهود و النصارى في المجال المالي و العمراني الآمر الذي أدى إلى الاستقرار السكان في مدينة فاس و نجح إدريس الثاني في تطوير عاصمته حتى غدت قبلة للمشارقة و المغاربة، و ازدادت تطورا و ازدهارا إدريس الثاني تخلى على سياسة العدل و المساوات التي حرص والده على إقرارها، ولهذا فانه قد استعمل الموازنة بحيث استغل العداء بين صنهاجة و الوامه و معمورة، حيث اعتمد عليهم لوضع حد لمكائدها، و يتمكن من إتمام عمران فاس[1].

ومن حيث ماراينا فان دولة الادارسة قد قضت على الإمارات و الولايات كما أخضعت كل قبيلة بربرية متمردة إلى حكم مركزي، وبهذا فان فاس تخضع لأول مرة لحكومة مركزية مما أدى بالقبائل التي بعدما تمكن إدريس الثاني من وضع قواتها بتصرف الأئمة حيث أنهم أدو إلى القضاء على الخوارج، كما مددو حدود الدولة من وادي شلف إلى أطراف

1-اسماعيل محمود : الادارسة 172- 375 هـ، مكتبة مدبولي القاهرة، 1991، ص77.

الصحراء وبهذا حققت الدولة الادريسية وحدة المغرب الأقصى الجغرافية[1]، حيث أنهم قد أدو نظرة في تاريخ الدولة الإسلامية، كما أنهم قد اتخذوا من بناء فاس عاصمة للدولة مع بعض النظم الإسلامية كالوزارة و الكتابة و القضاء و الإمامة و تجريد العاصمة الجديدة من تأثير العصابات و الطابع القبلي إضافة إلى أن فاس مصدر إشعاع اللغة العربية من فاس كلغة دين و ثقافة ونمو رقعة المملكة بحيث أصبحت أهم كيان بالمغرب الأقصى[2].

كما أن الأمير يدير الدولة و يساعد مجلس الشورى و الوزراء و كتاب الدولة و الولاة في الولايات فظهر منصب الوزراء (الدوايين) تحت رقابة الخليفة، ومع ذلك فان الادارسة كانت لهم سياسة من الناحية الخارجية و ذلك بوضع لدولتهم حدودها الجغرافية، مذهبها كما أنها قامت في المغرب الأقصى منفصلة عن الخلافة العباسية وعلى حساب نفوذ الخوارج الصفرية فلم يكن هناك مناصب ماعدا أئمة فاس، كخلفاء بغداد وولاتهم في المغرب و للخوارج بعد أن اقتطعوا منهم الأجزاء الشمالية الغربية منطقة تلمسان بالإضافة إلى العداء بينهم وبين اموى الأندلس[3].

وهكذا يمكن القول بان سياسة الأئمة قامت في جوهرها على عداء جيرانها ذلك العداء الذي حتم عليها أن تضل مستعدة للدفاع عن حدودها ضد الدولة العباسيةو الاغالبة، والدولة الرستمية الاباضية[4]، كما أنهم قد شيدو في الصحراء مراكز إدارية لهم وفي تادمكة حكمها أمير ادريسي و كانت لهم علاقات وثيقة مع الأندلس الأموية[5]

1- إسماعيل محمود نفس المرجع ،ص78.

2- عبدالحميد بخوفي الادارسة بتلمسان ,فاس,قلرطية,و فروع الادارسة في بلاد المغرب ,طبع بدعم من الثقافة بمناسبة التظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية,2011 ,ص29.

3- نفس المرجع ص206.

1- نصر الله عباس سعدون دولة الادارسة في العصر الذهبي 172-223هـ/788-735م, دار النهضة العربية1987ط20,ص162.

2- النشاط التجاري في المغرب الأقصى , رسالة ماجستير, 2004,ص32 .

المطلب الثاني: سياسة المرابطين في فاس.

لقد كان لاستيلاء المرابطين على فاس أهمية كبيرة وذلك من خلال التواصل الدبلوماسي بين فاس و بلاد السودان الغربي، حيث إنها قد فتحت الطريق أمامهم وذلك للقيام بعدة تغيرات[1]، كما انه عملى على تحويل فاس إلى قاعدة عسكرية و رئيسية لعمليات المرابطين خاصة إذا تعلق الأمر بالزحف كما انه بنى القصبة التي تقع في غرب المدينة وهي مقر سكان حكام مدينة فاس وأمرائها، كما انه قام ببناء المساجد، فحقق به ابن تاشفين عملا سياسيا و دينيا.

كما أن المغرب الأقصى شهد تقسيما إداريا لأقاليمه منذ بداية دولة المرابطين ففي عام 1074/467م قسم ابن تاشفين المغرب إلى أقسام ووزعها على بنيه و امرائه و قومه و ذويه فولى عمر بن سليمان على مدينة فاس[2]، كما أنهم انشؤ القلاع و الحصون لحماية البلاد في المغرب و الأندلس عسكريا، فقد اقامو الرقابة على عمالهم المكلفين بتحصيله الضرائب في حياتهم و حتى بعد وفاتهم حيث كان الورثة لهؤلاء العاملين يراقبون هم أيضا من قبل الدولة[3].

كما قامت الحركة المرابطية بإقامة علاقات ودية مع بعض الممالك التي قامت في السودان الغربي، مثل التكرور و غانة و مما يحملنا على التأكيد على عمق الروابط التي جمعت بين إمارة التكرور و المرابطين ، ما ورد عند البكري من معلومات تذكر تحالف أمير التكرور ابن ورجابي بن راييس المتوفى عام 432هـ/1041م، أول من اسلم مع الأمير المرابطي يحي بن عمر اللمتوني ، ضد قبيلة جدالة التي خالفت عبد الله بن ياسين و ذلك

3- طه احمد جمال مرجع سابق ص83.

4-نفس المرجع ص86.

5- محمود السيد: تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين ،مؤسسة شباب الجامعة ,الإسكندرية,2007,ص110.

عام 448هـ/1057م وعلى هذا فان المرابطين قد لعبو دور في اسلام التكرور في الثلث الاول من القرن الخامس الهجري[1].

كما ارتبط المرابطين بعلاقات سياسية ودية مع دول غانة ، ودليل ذلك ما ذكره صاحب الاستبصار من انه اطلع على رسالة أرسلها ملك غانة إلى يوسف بن تاشفين، 453-500هـ/1061-1107م ولقبه أمير اغمات وهذا يعني قدم العلاقات و أنها ترجع إلى السنوات أولى من حكم يوسف بن تاشفين فالمراسلة وقعت بين عامي، 453هـ/ 1061م وعام 459هـ/1067م[2]، والجدير بالذكر أن علاقة المرابطين بدول غانة ظلت ودية، فلا مجال لتصديق الذين زعموا بالغزو المرابطي لدولة غانا من المؤرخين القدامى او المحدثين، ويدعم هذا الاتجاه الرافض للغزو المرابطي لغانة، المؤرخ جون هونويكHUNWICK الذي ينفي دور حركة الجهاد المرابطي في الصحراء في انتشار الإسلام جنوب الصحراء ، كما يقول أن الدراسات الدقيقة للمصادر شككت حتى في غزوهم لغانة القديمة[3]، و ذلك الغزو الذي ذكره ابن خلدون لهذا فان الاتصالات السلمية ، لا الجهاد هي أساس نجاح المرابطين في نشر الإسلام في جنوب الصحراء ، كما أن المؤرخ هيسكت HISKETI الذي يساير سابقه و يقول أيضا : أصبح هناك اعتقاد وميل متزايد بان هذا الغزو لم يحدث ، أبدا و أن هاتين الدولتين كانتا دائما على علاقة ودية ، وان المرابطين أقنعوهم بوسائل سلمية باعتناق الإسلام السني دينا لدولتهم[4].

1- البكري(ابو عبيد الله ابن عبد العزيز): المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب.ص172،168،167.

3- الإدريسي : مصدر سابق، الجزء الاول، ص233-236.

1-الزهري: كتاب الجغرافية، ترجمة: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، بدون تاريخ، ص 135.

2-إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، القاهرة 1970، ص 51.

3- د كتور احمد الشكري:مملكةغانةو علاقتها بالحركة المرابطية)منشورات معهد الدراسات الافريقية-جامعة محمد الخامس، الرباط1997.ص126.

4-إبراهيم طرخان:المرجع السابق.ص51.

كما تصدي الدكتور احمد الشكري[1]، في دراسة قيمة لفضية الغزو المرابطي لغانة فعرض لمراحل تشكيل الرأي في صحة الغزو، و قام بدراسة نقدية للمصادر المعتمدة في تزكية الرأي السائد و انتهى من هذه الدراسة بالقول : لقد حان الوقت للتخلص وهم الغزو المرابطي لمملكة غانة[2].

وعلى هذا فمنذ بدايتها كانت العلاقات وثيقة بالسودان المجاورين لهم من جهة الجنوب، و اشتملت علاقات الطرفين بتعاون تجاري و سياسي مما سمح بتدفق التأثيرات الإسلامية جنوبا و نتيجة لذلك انتصر المذهب المالكي ببلاد السودان على حساب دوائر التأثيرات الخارجية الإسلامية جنوبا ومع العلم انه عملهم في نشر الدعوة اعتمد على الكلمة الطيبة وكما أن في إطار هذه العلاقات السلمية رحبت مملكة غانا بالمسلمين المقيمين فيها ,كما أنهم استعانوا بهم في تدبير شؤون الحكم و بمنحهم المناصب العليا في بلده وهكذا صارت التجارة بين فاس و جنوب الصحراء اهمية خاصة وأصبح تجار فاس يتدفقون على المدن السودانية مثل جني، و تمبكتو[3].

1-احمد الشكري :هو دكتور و باحث و أكاديمي مغربي يعمل في معهد الدراسات الافريقة التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط المملكة المغربية.

2-المرجع السابق.ص73.

3-المرجع تفسه:ص97.

المطلب الثالث: الحياة السياسية لمدينة فاس في عصر الموحدين.

استمرت العلاقات السودانية في عهدهم و ذلك في الرسالة التي أرسلها والي سجلماسة في مطلع القرن13، لملك غانة بشان تسير ظروف التجارة مابين المملكتين وكما احتفظ به المؤرخ التلمساني و ذلك التجاور بإحسان رغم اختلاف الأديان ومع الاختلاط الدين و أن هذه العلاقات الطيبة التي جمعت المغرب ببلاد السودان أدى بالبلاط الموحدي أن يستقطب احد أدباء مملكة كانم الواقعة على الحافة الشمالية لبحيرة التشاد[1].

كما ان تجارة الموحدين قد واجهة صعوبات كبيرة مع بلاد السودان جعلتها تتأخر، حيث لم تعد صحراء صنهاجة مكان أمنا لتاجر المغاربة وظهور قطاع الطرق الرابط بين سجلماسة و غانة من طرف الخوارج و هذا ما جعل الطريق يتحول من الساحلية المحاذية للمحيط الأطلسي إلى وسط الصحراء في اتجاه وركلان و الواحات الأخرى ثم منها إلى سجلماسة و بلاد السودان[2].

1- المقري احمد، نفح الطيب، بيروت، 1968،المجلد الثالث ص 105.

2- شعباني نور الدين:علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي و أثارهاالحضارية بين القرنين الخامس و التاسع الهجري،(رسالة ماجستير)اشراف موسى لقبال جامعة بوزريعة،2005-2006.ص93.

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية مع إفريقيا جنوب الصحراء

المطلب الأول:الحياة الاقتصادية

1- في عهد الادارسة:

لقد كانت مزدهرة و ذلك لعناية الادارسة بالزراعة حيث أنهم شقوا القنوات مما أدى إلى توفير الحبوب و الخضر و الفواكه ومن الناحية الصناعية كانت مصانع النسج منتشرة كما اهتموا بعصر الزيتون ،واشتهروا بصناعة السفن في عصر يحي بن محمد ، ومن خلال ازدهار التجارة و الصناعة كانت التجارة عبر نوعين برية تقوم بها القافل التجارية و بحرية تقوم بها الأساطيل التجارية , كما انتقلت القوافل التجارية عبر الصحراء محملة بالحبوب و زيت الزيتون و القطن و الخشب و الملح و العنبر و العسل و التمور و المرجان إضافة إلى الذهب كما أنها أدخلت عليها مزروعات جديدة مثل الأرز , قصب السكر, القطن, الحناء[1].

كما أن الزراعة كانت في عهدهم من الأمور الضرورية و كانت العمود الفقري للاقتصاد لذلك أولتها الدولة عناية فائقة فشجعت أحياء الأراضي البور وتحسين المنتوجات و إقامة السدود و توفير الأسمدة[2]، و لقد ازدهرت الحركات الاقتصادية وهي حركة التجارة و التي كان عمودها الذهب و الملح، كما أن غانا شهدت حركة تجارية داخلية و خارجية ، وهذا لان التجارة الخارجية ارتبطت بالشمال الإفريقي و خاصة المغرب، كما أنهم كانت لهم علاقات حسنة مع التكرور كما كانت لها علاقة مميزة حيث أنهم كانوا يسافرون اليها بالصوف، النحاس، ويعودون بالتبر و الخدم، كما ان غانا كانوا يأتون إليها التجار من

1- بخوش عبد الحميد: الادارسة المرجع سابق.ص208.

2- المرجع سابق: ص210.

المغرب عن طريق سجلماسة محملين ببضائع كثيرة و يبدلونها في غانا بالتبر و الخدم و تجارهم المغرب يقيمون عند ملكهم و يستقبلهم أحسن استقبال[1].

2- في عهد المرابطين:

لقد عاشت القبائل الزناتية في المغرب الأقصى شارك صنهاجة بتحصيل الضرائب من التجارة التي تعبر أراضيها من السودان إلى صنهاجة في الجنوب ثم إلى زناته في المغرب الأقصى، قبل اتجاهها إلى موانئ البحر المتوسط والى الأندلس، فادى هذا إلى حقد صنهاجة الملثمين، مما دفع بتدفق الملثمين على زناته وسط نفوذهم كما قاموا بأبعاد زناته عن هذا الطريق التجاري الهام[2].

كما انه بفعل الدعوة المرابطية و ثورتها كانت لها أهمية تجارية كبيرة[3]، وعلى هذا فإننا نرى أن المرابطين قد قدموا للمناطق أعمالا جليلة و منجزات في الميدان الاقتصادي وهذا فإننا نرى أن فترة المرابطين كانت انتقالا من مرحلة الاعتماد على التجارة و الرعي و بيع الذهب إلى طور الاستخدام الواسع للمعادن و خاصة في غانا[4].

كما أن المرابطين كانوا يمنحون اهتماما كبيرا بالتجارة الصحراوية وهذا من خلال محاربتهم لزناتة في درعة، و كان هدفه بدافع السيطرة عل الخطوط التجارية التي تربط بين الشمال و الجنوب وهي الطريق الوحيد للسيطرة على تجارة الملح و مناجم الذهب[5]، كما أن المرابطين قد ساهموا عند اهتمام بالتجارة الصحراوية آن يمكن المغاربة من التعرف على بلاد

1-اسماعيل محمود: مرجع سابق. ص37.

2-السيد محمود:المرجع السابق.ص109.

3-انظر الملحق رقم5:ص86.

4-العربي محمد: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسس الخليج للطباعة و النشر. ص38 .

5-بلغيث محمد الأمين: الحياة الفكرية في عصر الرابطين ،أطروحة لنيل شهادة دكتورا دولة في التاريخ الإسلامي جامعة الجزائر،2003.ص63.

السودان و ذلك من خلال تنظيم القوافل التجارية المتجهة إلى الجنوب و القادمة منه، كما صارت التجارة بين فاس و جنوب الصحراء أهمية خاصة و أصبح تجار فاس يتدفقون على المدن السودانية مثل جني و تمبكتو[1].

3: في عهد الموحدين:

استمرت العلاقات في عهد الموحدين يشهد ذلك الرسالة التي أرسلها والي سجلماسة في مطلع القرن13م لملك غانة بضان تسير ظروف التجارة مابين المملكتين و كما احتفظ به المؤرخ التلمساني احمد المقري، نحن نتجاور بلاحسان و إذا تخالفنا في الأديان كما كان احتباس مساكين التجار و منعهم من التصرف فيما هو بصدده[2]، ولعل في هذه العلاقات الطيبة التي جمعت المغرب ببلاد السودان وقتئذ ماحفز البلاط الموحدي على استقطاب احد أدباء مملكة كانم الواقعة على الحافة الشمالية لبحيرة التشاد[3]، كما أن تجارة الموحدين قد واجهة صعوبات كبيرة مع بلاد السودان جعلتها تتأخر، حيث لم تعد صحراء صنهاجة مكان أمنا لتجار المغاربة و ظهور قطاع الطرق الرابط بين سجلماسة و غانة من طرف الخوارج وهذا ما جعل الطريق يتحول من الساحلية المحاذية للمحيط الأطلسي إلى وسط الصحراء في اتجاه و ركلان و الواحات الأخرى ثم منها إلى سجلماسة و بلاد السودان[4].

1-طه احمد جمال: مرجع سابق .ص240.

2-احمد المقري: نفح الطيب، بيروت، 1968،مجلد الثالث.ص105.

3- الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء،1955،جزء الخامس.ص103.

4- شعباني نور الدين:المرجع السابق.ص93.

المبحث الثالث: الطرق و المراكز التجارية بين فاس و السودان الغربي.

لعبت الصلات التجارية بين بلاد المغرب و السودان الغربي دورا بارزا في توسيع شبكة الاتصالات بين المنطقتين، و دعم الروابط بينهما، و يظهر هذا خاصة من خلال سلسلة من النقوش الصخرية التي تظهر بها عربات تجرها الخيول و تتبع هذه النقوش طريقا يبدأ من وادي درعه مرورا بادرار أي موريتانيا الحالية، لينتهي عند نهر النيجر كما نجد طريقا أخر تشير إليه النقوش الصخرية يعبر الصحراء الكبرى من جنوب تونس و خليج سرت ويمر بجبال الأحجار في الجزائر حاليا إلى نهر النيجر نحو مدينة جاو التي تعد أقدم حواضر السودان و يلاحظ انه على تلك المحاور ذاتها كان التجار المسلمون الأوائل يتوجهون لعرض تجارتهم في بلاد السودان كما يلاحظ انه بالقرب من نهاية تلك الطرق توجد مراكز فاس للتجارة و السودانية مثل اودغست ، ولاتة، غانة، تمبكتو، جاو، جنى، تاكدا مما أدى إلى ظهور اتصال بين المنطقتين هو التجارة و التبادل السلع عبر الصحراء.

المطلب الاول: الطرق التجارية:

1-طريق فاس سجلماسة:

هو الطريق الذي ينطلق من فاس باتجاه سجلماسة[1]، كما وصفه أبو عبد الله البكري حيث انطلق من مدينة فاس[2]، باتجاه سجلماسة مرورا بمدينة صفروى الواقعة على الضفة الغربية لوادي سيو جنوب فاس ثم عبر موقع صغير يسمى المزي ثم إلى قرية تاسغمرت ثم إلى نهر سيو ثم إلى سجلماسة إما إلى العودة من سجلماسة إلى فاس فيمر عبر طريق جبلي وعر من خلال جبل أرقود وجبل درن المشهور نحو فاس و يقدر ابن حوقل طول هذا

1- سجلماسة: يذكر البكري ان سجلماسة بنيت 140هـ، وهي تعد اهم مركز تجاري هام للقوافل الصحراوية بضل مجاورتها لبلاد السودان و الصحراء معا.

2- انظر الملحق رقم6:ص87.

الطريق 13 يوما من السير[1]، أما الطريق الذي سلكه عبد الواحد المراكشي خلال رحلته إلى المغرب الأقصى يمتد من فاس نحو مراكش مجاورا الساحل الأطلسي عبر مدينة سلا وعلى

هذا الأساس يبدو أن مراكش كانت أخر محطة مهمة في هذا الطريق خلال الفترة التي زارها المراكشي حوالي عام621هـ فيقول مراكش أخر المدن الكبرى بالمغرب المشهورة به وليس ورائها مدينة لها ذكر إلا بلديات صغيرة بالسوس الأقصى وهكذا يؤكد بان طريق فاس سجلماسة يبقى أكثر حيوية و أهمية كبيرة.

2: طريق سجلماسة غانة:

هو طريق يمر وسط الصحراء القاحلة ويبل: طول هذا الطريق[2] خمسين يوما تسير فيه القوافل لهذا كان التجار يفضلون سلوكه في فصل الشتاء ويعد هذا الطريق الطويل الخالي من المدن باستثناء بعض المراكز التجارية المحدودة في بلاد السودان مثل اودغست التي يذهب إليها التجار في تلك الصحاري اوتغازة فهذا الطريق كان يتفرع إلى فرعين الأول يتجه نحو غانة عبر اودغست أين تستغرق المسافة بين غانة و اودغست 10 ايام[3] و يمر بولاته ومنها إلى غانة أما الأخر فيتوجه نحو غانة عبر تاغزة كما يصفه الإدريسي من خلال القرن 6 للهجرة 12م انه طريق خطير و مجهول الآثار و قليل السكان .

3: طريق سجلماسة تنبكتو:

هو محطة تجارية هامة وهو الطريق الذي سلكه ابن بطوطة لدى سفره إلى مالي و يمتد من سجلماسة إلى تاغزة ومنها ولاته التي يعتبرها ابن بطوطة أول عمالة السودان و

1-البكري :(ابوعبيد الله بن عبد العزيز487هـ/1094م)المغرب في ذكر بلاد افريقيا و المغرب،دار الكتاب الاسلامي،القاهرة.ص88.

2-انظر الملحق رقم7:ص 88.

3-الحسين عماري: فاس حلقة لتفاعل الحضاري بين المغرب و إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث و بداية المعاصر، (دورية كان التاريخية العدد السابع عشر، سبتمبر2012) ،ص118.

المسافة من سجلماسة إلى ولاته شهرين ومن ولاته يتجه المسافرين إلى تنبكتو14 يوما مارين بقرية زاغري ثم نهر السنغال ومنه إلى تنبكتو وهذا الطريق لا يخلو من الصعوبة فيعتبره حسن الوزان أكثر وعورة من الأول حيث يؤدي صعوبة المرور فيه إلى موت العديد من الناس و هذا لفقدان الماء[1].

المطلب الثاني: المراكز التجارية:

1- فاس:

ذكر مدينة فاس كثيرا في المصادر الجغرافية و التاريخية العربية التي أكدت أهمية موقعها الجغرافي و دورها التجاري لأنها عرفت استقطاب الزوار و التجار من كل الأنحاء و أصبحت مقصد القوافل و ضد الركائب و ازدهرت بالعمارة و الحمامات وهكذا أدى إلى ظهور حركة تجارية بين جنوب الصحراء و شمالها فإنها كانت نقطة التقاء الطرق التجارية الكبرى فازدهرت تجارتها أيام المرابطين و كذلك في عهد الموحدين[2].

2- السودان:

***اودغست:**هي مدينة تقع بين جبلين في قلب القارة الإفريقية جنوب مدينة سجلماسة، على بعد أكثر من 40 يوما في الصحراء، ويصفها البكري بكونها ذات عمارة و أسواق و مبانيها حسنة نتقنه و توجد أثار مدينة غانة على بعد 15 يوما و هذا جعل من اودغست في موريتانيا، وهو موقع مابين مدينة غانة على بعد 15 يوما، وهذا جعل من اودغست مركزا تجاريا مهما لتجارة الذهب المستورد من السودان و التي بقيت تصدره إلى بلاد لمغرب خاصة نحو سجلماسة وقد حافظت اودغست على علاقاتها الودية مع غانة و أصبحت تمثل

1- ابن بطوطة:(ابو عبد الله محمد بن ابراهيم): تحفة الأنظار و غرائب الأمطار و عجائب الأسفار المعروف بالرحلة، بيروت،1992. ص376.

2- طه جمال احمد: مرجع سابق.ص288.

حلقة وصل دائمة بين اللمتونيين و السونتكيين أين كانت تعد ملتقى حقيقيا بين تجار المغرب و تجار السودان، وهو ما جعلها سوقا تجاريا كبيرا، فابن حوقل لما مر باودغست عام 391هـ/990م شاهد صفقة 40 ألف دينار، وهو دليل يثبت ضخامة التبادل التجاري بالرغم من خضوع المدينة للمرابطين و الخراب الذي حل بها، إلا أنها استطاعت أن تحافظ على أهميتها التجارية , وحتى الثقافية كمركز إشعاع للحضارة الإسلامية[1].

* **ولاتة:** يصفها ابن بطوطة على أنها أول عمالة السودان و أنها تبعد عن سجلماسة بمسيرة شهرين و لعل هذا الموقع هو الذي جعلها مركزا تجاريا[2] استقطب اهتمام التجار ذلك أن تجار غانة الملقبين بالونغارة هم من أسسها في مكان يدعى بيرو، وقد تم اختيار هذا المكان لأغراض أمنية فوجدها على الحدود من السفانا و الصحراء الكبرى، وعلى بعد شهرين من سجلماسة، جعل المدينة السودانية الأقرب من بلاد المغرب، كما جعلها هذا الموقع بمثابة مفترق طرق كثيرة مايعبره التجار و أهل السودان الذاهبون إلى الحج، فولاته بعد المحطة النهائية لعابري الصحراء و بقت على هذا الوضع إلى غاية استيلاء المرابطين عليها 838هـ/1433م وعندما قام حسن الوزان بزيارتها في القرن 10هـ كانت مملكة خامدة لسائر ممالك السودان[3].

***غانة :** تقول المصادر العربية التي ذكروه فإنها تعرف اسمها بمعدن الذهب الذي اشتهرت به فالبكري عبر إلى أن غانة هو اسم الملك هذا البلد هو أوكار فيصفها الإدريسي بكونها مدينتان على ضفتي نهر الحلو و هي اكبر بلاد السودان منجرا، ويقصدها التجار المياسير من جميع البلاد و أهلها مسلمون كما أن غانة حافظت، على دورها كمركز تجاري هام

1- العربي إسماعيل : المدن المغربية،المؤسسة الوطنية،للكتاب الجزائر، 1984.ص114.

2-انظر الملحق رقم8، ص 89.

3-ابن بطوطة: مصدر السابق.ص676.

خاصة لمن يريد الوصول إلى الذهب الموجود في غيارو، إلى أن تم نهبها من طرف الماندينغ عام 621هـ/224م[1].

***تمبكتو:** وهي أخرى حيث مدينة حديثة النشأة مقارنة بمراكزها الأخرى، حيث أن موقعها الاستراتيجي جعلها تستقطب التجار و العلماء و أصحاب الأموال من مصر و فزان وغدامس و توات و درعة و فاس و غيرها ففي البداية كانت مجرد مخيم للشتاء قرب النيجر، و تطورت بعد ذلك و أصبحت مركز تجاري، و عوضت ولاته و كانت تلعب هذا الدور، كما عرفت توافد السودانيين من كل جنس كما أنها أصبحت على يد منسا سليمان مدينة متطورة بعد أن غيرها وجعل فيها دكاكين و صناعات و جلب البنائين، فهو يعيد المؤسس الحقيقي لها، و ذلك عام 610هـ/1213م وبهذا فان تمبكتو تطورت و ازدهرت عصر إمبراطورية مالي وفي عصر مملكة سنغاي و بفضل موقعها الممتاز في منحى نهر النيجر فأصبحت اقرب محطة سودانية للقوافل القادمة من المغرب كما أن موقعها مع النيجر جعلها حلقة اتصال بين تجارة المغرب و تجارة السودان، فهي قد ازدهرت بفضل العبور الصحراوية خاصة تجارة الذهب و الملح[2].

***جاو:** فعند الإدريسي و حسن الوزان نجدها كوكو، و المهلبي بكاوكو وهي تعد من أشهر مدن السودان تقع على شفة نهر النيجر من جهة الشرق و عندما أصبحت عاصمة مملكة سونغاي زادت شهرة كبيرة وكانت تمثل شعب السونغاي ماكانت تمثله تمبكتو لغيرها من دول السودان الغربي من نواحي ثقافة التجارة و الإدارة الحكومية، كما أنها اكتسيت أهمية في احد الطرق التي تربط مصر بغانة، وهو ماجعلها تشارك في النشاط التجاري وجلب لها الرفاهية، كما أن أهل جاو المسلمون عرف بحسن ضيافتهم للتجار و مجالسهم لهم و ممارستهم

1-حسن الوزان محمد: المصدر السابق.ص165.

2- احمد الشكري: المرجع السابق ، ص95.

للتجارة مع القوافل العابرة حيث كانت ترد إليهم الأقمشة من المغزل و الروبا و تأتيهم الملح من تاغزة الودع من الهند و النحاس المسبوك من تكدا[1].

***جني:** لقد أطلقوا عليها تجار الأفارقة اسم كناوة، وأهلها سماها بجني وهي اسم مدينة ومملكة في نفس الوقت تبعد على ولاته بخمسمائة ميل في الصحراء مركزا تجاريا مهما بفضل موقعها في ملتقى الطرق ، بالاظافة إلى إحاطة المياه بها مما يحميها من غارات المعتدين، وبدا أهلها يحققون أرباحا هائلة من تجار القماش ، النحاس ، السلاح ، ففيها كان يلتقي أرباب الملح القادمون من تاغزة ، و أرباب ذهب من اودغست فاستقطب إليها التجار من كل أفاق حتى كانت أسواقها تدوم طول أيام الأسبوع و كانت تستعمل فيها حتى القوارب لنقل الملح و سلع أخرى من تنبكتو إلى جني بالتالي أصبحت جني حلقة وصل بين تجارة الذهب و تجارة الملح [2].

***تاكدا:** اشتهرت تاكدا بإنتاج النحاس، الذي يستخرج من مناجمها و يحملونها إلى بلاد السودان بعدما يتم سبكها على شكل قضبان في طول الشبر و نصف، لعل هذا المعدن هو الذي منح تاكدا أهمية تجارية باظافة إلى موقعها في الطريق بين توات وغانة فهي تبعد عن توات ب 70 يوما[3]، فكانت القوافل تسير منها باتجاه بلاد بورنو حيث تجلب الجواري و العبيد و الثياب و تصدرها إلى فاس كما كان أهل تاكد يسافرون سنويا إلى مصر، و يجلبون منها الثياب الحسنة و غيرها ، وهو ما انعكس برفاهية واسعة الحال على أهلها.

1- الادريسي: مصدر السابق.ص44.

2-الزهري: (ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ت اواسط القرن 6هـ/12م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.ص182.

3-ابن بطوطة : المصدر السابق، ص677.

المطلب الثالث: المعاملات التجارية:

1-الصادرات :

لقد شملت قائمة السلع المصدرة من بلاد السودان أو من سودان إلى فاس على بضائع و منتوجات متنوعة، وهذا يدل على نشاط تجاري و على هذا الأساس نتعرف على السلع التي، كانت تنقل من بلاد السودان إلى بلاد فاس، و أهم ما اشتهرت به هو الذهب[1] الذي يزخر به باطن أرضها، و المقترن اسم أعظم إمبراطورية توجد فيها هذا المعدن الثمين غانة، لقد أوضح لنا البكري: أن معدن الذهب كان ضمن الصادرات لبلاد السودان إلى فاس حيث أن البكري يقول لنا أن التبر، الذهب: ففي نظر الكتاب الأوائل منهم الفزازي و ابن فقيه ، تشير لفظة الذهب إلى اذهب الخام، بما في ذلك الذهب الذي ينمو كما تنمو الجزر، وفي هذا مبالغة كبيرة لان الذهب لا ينمو مثل النبات و لكنه معدن نفيس ونادر، وهذا يعني أن لتفسير الألفاظ تبر، ذهب فان معنى لفظ التبر : هو ذهب محلي : و غير مسكوك ، و لا مصوغ ، و ربما كشذرات أو تراب ، وهو في جميع الحالات الذهب في حالته الأولية بخلاف الذهب المصوغ الذي يستخدم بصدده لفظة الذهب[2]، كما أن البكري يقول : أن الحاكم كان ينظم الذهب باحتفاظه بالقطع الكبيرة منه حتة لا تهبط قيمته نتيجة لفرط توافره و التبر التقليدي من القطع الكبيرة من المعدن و ترابه لا يصمد للتحليل ، إذ أن التبر الحقيقي كان من نوع أخر فلفظة الذهب تشير إلى الذهب الخالص الذي كان الحاكم يحتفظ به لنفسه و كان يستخدم في سك النقود أما التبر فقد كان ذهبا طبيعيا على مستوى رفيع من الجودة وهو يسوق بعيدا عن القوات الخاضعة لسيطرة الحاكم ، و ذكر الإدريسي عن مناجمه ووصول تجار إليها قائلا من مدينة غانة إلى بلاد الونقارة 8 أيام والبلادهذه غنية بالذهب و مشهورة به و لكثرته أدى

1-انظر الملحق رقم 9:ص 90.

2- البكرى: المصدر السابق. ص172.

بالناس أن يبيعو فيها ماحصل بأيديهم من التبر و تاجر يعضهم بعضا و اشترى أكثره أهل وارقلان و أهل فاس كما حمل التجار الذهب من مدينة كوغة السودانية التي وصفت بانها اكثر بلاد السودان ذهبا و هذا وان وصل تجار فاس و غيرهم إلى مناطق الذهب ليس بالسهل الهين، وقد سجل لنا ياقوت الحموي نصا مهما عن مناطق مناجم الذهب[1] و عن كيفية و صول التجار القادمين من فا ساليها وما صادفوه من مشاق و يسمى عملية التبادل التجاري التي تتم قرب مناجم الذهب بتجارة الذهب الصامتة وهي بدائية في بلاد السودان إلى درجة انها تتم بدون كلام و دون ان يرى البائع زبونه ، حيث أن مصادر الذهب كانت متمركزة في الجنوب و هم يعيشون كالبهائم عراة لا يعرفون الستر ، كما قيل أنهم يلبسون شيئا من جلود الحيوانات ، كما أن اللغة التي يتكلمون بها غير مفهومة و لا يراهم اي تاجر ، كما أن تجار فاس يقصدونها قادمين من سجلماسة فيعبرون صحراء القاحلة على مسافة ، ثلاثة أشهر يقاومون الحر و العطش و التعب و مصطحبين معهم الادلاء السماسرة لعقد المعاملات ، محملين قوافلهم بسلع مختلفة و متنوعة المرجان ، الثمار ، الأنسجة و غيرها في مقدمتها الملح المفقود عندهم منهجين إلى مصادر الذهب ، و يبادلونها بالذهب الذي يمتلكه أصحاب المناجم السودانيين[2].

ولعل هذه التسمية تعود إلى تجار المقايضة ، فيقول ابن خلدون * أن انتقال السلع من بلد بعيد المسافة ، و اشد خطر في الطرقات ، يكون أكثر فائدة للتجار و أعظم أرباحا و اكفل بحوالة الأسواق ، لان السلع المنقولة حينئذ تكون قليلة جدا *

وعلى هذا الأساس نستنتج من كلام ابن خلدون أن ندرة السلعة و المخاطر التي يواجهها التجار ، هي التي تحدد سعرها وقيمتها ، ولهذا كانت التجارة بين السودان الغربي و فاس تتخذ من السلع الثمينة عملة لابتياع و التعامل ، و تتم هذه في تبديل الذهب بالسلع القادمة

1-انظر الملحق رقم10:ص91 .

2- عماري الحسين: المرجع السابق، ص107.

من الشمال تتم بصمت دون أن يرى أو يتكلم المتعاملين مع بعضهم البعض ، التجار العرب المسلمين و ملاك الذهب السودانيين[1] ، و كذلك تجارة الرقيق حيث كما وصفها الإدريسي إنهم يبيعونهم إلى التجار الداخلين إليهم بثمن رخيس ، و يخرجونهم إلى المغرب الأقصى و يباع منهم في كل سنة اهداد لا تحصى حيث أن قبائل السودان هم الذين يبيعون الرقيق إلى التجار بعد سرقتهم ، من قبائل أخرى ، كما أن البكري يقول انه مدينة اودغست توجد بها سوقا يباع فيها الرقيق ، كما انه يوجد سلع أخرى يتم جلبها من بلاد السودان و مدينة اودغست في السودان الغربي العنبر، وكما انه هناك أنواع من جلود الماعز مدبوغة دباغة عجيبة الجلد الواحد يكون غليظا كبيرا ليس محببا في لون البنفسج و لون السود[2].

2-الواردات:

خرج ابن بطوطة من مدينة فاس قاصدا سجلماسة في الجنوب ، وهناك اشترى الجمال و اعدها لهذه الرحلة الشاقة في الصحراء الكبرى ، و بدا رحلته مع قافلة تقصد هذه الديار ، و كان ذلك في 753هـ/1352 م و كان مقدم القافلة و رائدها أبا محمد يد كان المسوفى .ووصلوا بعد خمسة و عشرين يوما إلى تغازا ، و لم يكد يصل إليها حتى عجب من بيوتها إذا رائها تتخذ من حجارة الملح ، ولم يكد يصل إليها حتى عجب من بيوتها إذ رآها تتخذ من حجارة الملح ، ولم يكن يسكنها إلا عبيد مسوفة وهم يحفرون على الملح في الأرض ، فيجدون منه ألواحا ضخاما ، يبيعونها لأهل السودان ، و يقول ابن بطوطة أن للملح عند السودانيين شانا كبيرا حتى أنهم يتبايعون به كما يتبايع غيرهم بالذهب و الفضة ، كانو يستورودن من التجار المغاربة الملح، أما أماكن وجود الملح فهو في صحارى المغرب الأقصى ومن أهم مناجم الملح في الصحراء منجم الذي قال عنه ابن حوقل : اوليلي معدن الملح ببلاد المغرب بينهما و بين اودغست شهرا ، حدد البكري موقعه بدقة فهو على المحيط

1-انظر الملحق رقم11:ص 92 .

2-عماري الحسين: المرجع السابق، ص108.

الأطلسي في أراضي قبيلة بينها و بين ادغست شهرا ، حيث كان موجود بالنواحي الجنوبية للصحراء ، على بعد 20 يوما من سجلماسة في مكان يسمى حصن الملح و قد ساهمت ، تجارة الملح في تحويل مناجم الملح الصحروية إلى مراكز التقاء بين التجار و العرب و قبائل صنهاجة البربرية العاملة في استخراج الملح ، و أشهر قبائل المستقلة في الملح هي قبائل بني مسوفة[1] .

حيث أن عبدهم كانوا يحفرون في الأرض و يحملونه إلى بلاد السودان ، وكان الملح يستبدل بالذهب حيث أن حمل واحد من الذهب في ولاته يباع ب 8 مثاقيل و 10 مثاقيل من ذهب و يصل سعره في مالي الى 30 مثقال ، و يصل إلى أربعين مثقالا ، و هذا دليل على قيمة الملح ، وندرته عند السودانيين ، حيث أن ملك غانة كان يرسل الهدايا إلى ملك اودغست و أمير كوغة و هذا للحفاظ على العلاقات الطيبة معهم بسبب حاجته الماسة إلى الملح الخارج إليهم من بلاد الإسلام، و كان تجارة الملح أسواق خاصة به عندى ملتقى الطرق مثل قرية تاغزة ، مدينة حني ، و كذلك من السلع المجلوبة إلى السودان القماش حيث كانت فاس أهم مركز تجاري لصناعة الأقمشة ، كما أن أغلبية القوم و الملوك من السودانيين يلبسون أقمشة القطنية المجلوبة لهم من فاس كما أنهم جلبوا كذلك أقمشة مطرزة بالخيوط الذهبية و القطنية و كذلك كما قال البكري: كان فاس يصدرون القمح إلى السودان بأسعار غالية جدا، بسبب صعوبة نقله و كذلك فواكهه، و التمر، الزبيب ، وخاصة التمر الذي كان يأتي من سجلماسة و بلاد الزاب ، أرجلان ، كما كان تجار فاس يسافرون إلى السودان الغربي ، بالصوف و النحاس الأصفر، و أدوات الفخارية و هذا ما اكتشف عنه التقنيات الأثرية في مدينة اودغست عن أوني فخارية تعود إلى القرن 3هـ/ 9م و كذلك النحاس المصبوغ و النحاس المسبوك[2] .

1-الزهري:المصدر السابق. ص180 .

2-البياتي محمد بان علي: المرجع السابق، ص102.

ومما لاشك فان مدينة فاس والدويلات التي شهدتها من الناحية السياسة و الاقتصادية أدو دوا بارزا فيها حتى أصبحت لديها علاقات تجارية كبيرة من الطرق و مراكز تربطها مع جنوب إفريقيا خاصة السودان الغربي.

الفصل الثالث:العلاقات الدينية و الثقافية

المبحث الاول: العلاقات الدينية

المطلب الاول: انتشار الاسلام

المطلب الثاني: الطرق الصوفية ودورها في نشر الاسلام

المبحث الثاني: العلاقات الثقافية

المطلب الاول: نشر اللغة

المطلب الثاني: نشر التعليم

المطلب الثالث: المؤسسات التعليمية ودورها في التعليم العربي

يقول حسن إبراهيم حسن في معرض حديثة عن انتشار الثقافة العربية في غربي القارة الإفريقية وبالذات حول الدور الذي لعبته مدينة فاس في نشر الثقافة العربية الإسلامية في القارة "كان تأسيس مدينة فاس في أواخر القرن الثاني للهجرة 192هـ فاتحة عهد جديد في تاريخ الثقافة العربية في المغرب الأقصى وغربي القارة الإفريقية فقد أصبحت هذه المدينة مثابة للعلم يقصدها العلماء من كل حدب وصوب، وأخذت معاهدها تتأثر بالمؤثرات الثقافية في معاهد القيروان والأندلس وتنشرها في البلاد والى هذه المعاهد يرجع الفضل في نشر الدين الاسلامي واللغة العربية"[1].

حيث يعتبر موضوع انتشار الاسلام والثقافة في افريقيا جنوب الصحراء من اهم الموضوعات التي شهدها هذا الجزء.

المبحث الاول:العلاقات الدينية:

المطلب الاول:انتشار الاسلام:

كانت التطورات التي مر بها نفوذ الإسلام وانتشاره في غرب إفريقيا محل اختلاف عدد من المؤرخين الذين تناولوا تاريخ هذه المنطقة لان هناك عدد من المصادر التاريخية تذكر بان دخول الإسلام الى غرب إفريقيا كان منذ القرن الثاني للهجري/ الثامن الميلادي[2].

(1) حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام في القرة الافريقية، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1963م. ص214-215.

(2) باريما باري عثمان: جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي، دار امين، ط1، القاهرة، 2000م. ص27.

حتى هناك من ذكر بان الإسلام كان منتشرا في هذه بلاد السودان منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، بمعنى ان العرب الفاتحين هم من وضعوا البذرة الأولى للإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء[1].

قد اختص أهل المغرب بمذهب الإمام مالك، ولم يتخذوا غيره مذهبا الا في القليل لان رحلاتهم كانت غالبا الى الحجاز، لذا اقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم الإمام مالك وشيوخه من قبله، وتلاميذه من بعده. لذا كان المذهب المالكي غضا عندهم. وقد اتجهت المادة الفقهية، نتيجة لتأثر أهل فاس بالمذهب المالكي اتجاها خاصا، وأصبحت المؤلفات التي دونها رفقاء الإمام مالك هي التي تحتل المكانة الأولى في الدراسة بالقرويين، ومساجد فاس الأخرى، واستمر الفقه المالكي في مدينة فاس طيلة أيام المرابطين[2].

وقد ساد المذهب المالكي بلاد السودان ، وذلك راجع الى الدور الذي لعبه المرابطون في نشر هذا المذهب عن طريق تشددهم وصرامتهم ، كما لعبت مسوفة الصنهاجية أيضا، دورا مهما عن طريق التجارة والتدليل، بعد أن درسوا في المدارس السنية المالكية على يد المرابطين، وأدخلوا هذا المذهب إلى غاية منطقة تادمكة الإباضية[3].

فيما يرى فريق أخر من المؤرخين بان المرابطين هم من اخضعوا بلاد السودان الغربي و نشروا بها الإسلام[4].ورغم انفصال الممالك السودانية عند المرابطين فقد بقية هذه الممالك

(1) جلال يحي: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، 1999م. ص17

(2) الفيتوري عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء، منشورات جامعة فان يونس، ط1، ليبيا، 1998م. ص276-277.

(3) شعباني نور الدين: المرجع السابق. ص166.

(4) دندش عصمت عبد اللطيف: دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا 450هـ- 551هـ/ 1038م- 1221م، دار الغرب الاسلامي، ط1، لبنان، 1988م. ص103.

محافظة على إسلامها بل أكثر من ذلك حيث حافظة هذه الاخيرة على استمرارية انتشار الإسلام في مختلف أرجاء غرب إفريقيا[1].

وعدد اخر من المؤرخين يرى بان نفوذ الإسلام الى السودان الغربي لم يتم دفعة واحدة، وان انتشاره في هذه المنطقة مر بثلاث مراحل هي:

***المرحلة الأولى: من عام 20هـ-443هـ/ 640 الى 1050م :**

تم في هذه المرحلة فتح المسلمين لشمال إفريقيا فانتشر السلام فيها، ومن شمال إفريقيا اخذ ينتشر جنوبا الى السودان الغربي جنوب الصحراء الكبرى.

وقد خضعت قبائل البربر للمسلمين ودخلت في الإسلام و انضمت لجيوش المسلمين و ساهمت في نشر الإسلام في غرب إفريقيا. والقبائل التي لها شان في نشر الإسلام في غرب إفريقيا قبائل الطوارق او الملثمين وقد كانت هذه القبائل منتشرة في نطاق واسع. وكانت هذه القبائل تعمل بالتجارة فأصبحت حلقة اتصال بين المغرب وشعوبه وحضاراته وثقافته وبين المحيط الزنجي الواقع الى الجنوب، وتلعب التجارة دورا هاما في نشر الإسلام والثقافة العربي في غرب إفريقيا[2].

وقد مهد تجار فاس الطريق للدعاة المسلمين لنشر الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء ويظهر ان رمال الصحراء غمرت أسماءهم، ولم تتمكن المصادر من تتبع خطواتهم وصدورهم خلال القرنين الثاني والثالث من الهجرة/ الثامن والتاسع الميلادي[3].

(1) الجمل شوقي عطا الله و عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: تاريخ المسلمين في افريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص85.

(2)نفس المرجع. ص86.

(1) الشكري احمد: المرجع السابق. ص88.

وظهر الإسلام في المدن التجارية (غانة ومالي ، جنى، كوكو، تنبكت) لان موقع هذه المدن الجغرافي هيأ لها فرصة اتصال اكبر بالعالم الخارجي، ولهذا السبب تعرفت على أفكار حضارات مستجلبة من الخارج واستقبلت تيارات فكرية وثقافية خارجية، وعرفت مظاهر حضارة أرقى[1].

وانتشر الإسلام انتشارا سريعا وهادئا دون اللجوء للعنف عبر الطرق التجارية الممتدة من بلاد فاس عبر الصحراء الكبرى، وكان للتجار المسلمين دور كبير في هذا المجال، فقد كان التجار في تنقلهم بين المراكز التجارية يحتكون بالزنوج ويؤثرون فيهم بسلوكهم الشخصي وامناتهم ونقائهم، وكثيرا مانتهى هذا الاحتكاك بدخول كثيرين من هؤلاء الزنوج في الإسلام، ولذا تركز الإسلام على الخصوص من المبدأ في المراكز التجارية الهامة والمدن ثم تسرب منها الى المناطق البعيدة[2].

وهكذا دخل الإسلام الى الكثير من بلدان غرب إفريقيا في ركاب التجار وكنتيجة لنشاطهم، وانتشر بعد ذلك أكثر بانتشار المسلمين ، فقد أصبح الإسلام بمثابة تصريح مرور لمن يريد الاتجار بنجاح في إفريقيا الغربية[3].

***المرحلة الثانية: من 443هـ-1164هـ/ 1050مالى 1750م:**

في هذه المرحلة الهامة دخل في حظيرة الإسلام العديد من قبائل الصحراء العربية وقامت في السودان الغربي ممالك (امبراطوريات) إسلامية قوية فقد انتشر الإسلام في البلاد التي يرويها نهر السنغال والنيجر[1]. ومن هذه الممالك :

(2) حسن محمد نبيلة: تاريخ الحضارة الاسلامية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية. ص285.

(3) الجمل شوقي عطا الله:المرجع السابق. ص87.

(4) نفسه.

مملكة غانة:

الإسلام قديم في غانة ويرجع ذلك لقدم العلاقات التي ربطت بين فاس وغانة بوجه خاص والسودان الغربي بوجه عام وقد أسهمت هذه الصلات في استقرار أعداد كبيرة من المغاربة في تلك البلاد، ويشهد ذلك القسم المسلم من العاصمة الذي احتوى على اثنى عشر مسجدا وكان لهذه المساجد الائمة والمؤذنون والفقهاء وحملة العلم[2].

وما ذكره الجغرافي الزهري من ان غانة أسلمت في فترة ظهور المرابطين في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، وانهم ساروا الى مكة المكرمة وحجوا وزاروا وانصرفوا الى بلادهم[3].

وقد أدى رواج التجارة في غانة الى ان أصبحت العاصمة من اكبر أسواق بلاد السودان، والى تسرب الإسلام اليها سلميا عن طريق التجار والدعاة المسلمين، ويضيف البكري ان تراجمة ملك غانة كانوا من المسلمين وكذلك كان صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه من المسلمين ويذكر ان ملك غانة رغم وثنيته كان محمود السيرة محبا للعدل مؤثرا للمسلمين وهذا يدل على ان الحركة كانت حركة دافقة ، فقد كثر عدد المسلمين بين زنوج غربي إفريقيا لدرجة ان شعب التكرور بأكمله قد اسلم ، كذلك امتد الإسلام الى مدينة سلى التي تقع بين التكرور وغانة[4].

---

(1)الجمل شوقي عطا الله:المرجع السابق. ص89.

(2)البكري (ابو عبيد بن عبد العزيز 487هـ/1094م) المصدر السابق. ص175.

(3) الزهري (ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ت اواسط القرن 6هـ/12م)، المصدر السابق.ص135.

(4) رجب محمد عبد الحليم و اخرون: الموسوعة الافريقية (لمحة عن تاريخ القارة الإفريقية)،معهد البحوث والدراسات الافريقية، مج2، جامعة القاهرة . ص178-179.

وهذا يدل على ان كثيرا من المدن والقبائل الزنجية كانت قد أسلمت وحسن إسلامها، وكانت هذه المدن والممالك تحيط بمملكة غانة وشرقا وجنوبا، وكان لابد من القضاء على هذه المملكة حتى يسير الإسلام في مجراه الطبيعي ويستقر بين هذه الشعوب التي أمنت به، وحتى ينتهي دور غانة في مناهضة الإسلام واستغلال تفرق شمل قبائل الملثمين أحيانا واعتدائها على هذه القبائل، فكان الهدف الأساسي الذي كرس له ابوبكر بن عمر اللمتوني زعيم الملثمين من قبائل صنهاجة[1].

وقد استطاع هذا الأمير ان يفتح مملكة غانة ويستولي على العاصمة عام 469هـ/ 1076م ويسقط الحكومة الغانية الوثنية ،ومنذ ذلك الوقت يمكن ان يؤرخ لإمبراطورية غانة الإسلامية حتى اختفائها من التاريخ في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، فقد أصبحت حكومتها إسلامية ويقال ان ملكها اعتنق الإسلام وبإسلام هذا الملك دخل عدد كبير من سكان العاصمة وغيرهم من المدن في الإسلام[2].

ومع ان حركة المرابطين أدت الى إضعاف غانة سياسيا، فان سيادة غانة لم تستمر طويلا اذ سرعان ما تخلصت غانة من هذه السيادة على اثر اغتيال أمير المؤمنين عام: 480هـ/1087م فأعلنت غانة استقلالها وانفصالها على الدولة المرابطية ونقضت تبعيتها لها، و في نفس الوقت استطاعت بعض الولايات التي كانت تابعة لإمبراطورية غانة ان تنفصل هي الأخرى وتستقل في حكمها وأصبحت ممالك مستقلة مما اضعف الدولة ومهد للقضاء عليها ومعنى ذلك ان فتح المرابطين لغانة لم يقض عليها تاريخيا لإمبراطورية غانة.

ويبدو ان هذه الدفعة التي دفعها المرابطون للإسلام كانت قوية بل اقوى مما يظن اذ تركت في تاريخ الإسلام في غربي إفريقيا اثارا عميقة ذلك ان دعاة المرابطين نشروا الاسلام في

(1)رجب محمد عبد الحليم و اخرون:المرجع السابق. ص181.

(3) نفسه.

المنطقة الواقعة بين السنغال والنيجر وعلى ضفاف السنغال وأدى هذا الأمر إلى ظهور سلطنة مالي الإسلامية[1].

مملكة مالي:

منذ أواسط القرن الحادي عشر كان الإسلام قد اخذ ينتشر بين أفراد الأسرة الحاكمة في مالي واعتنق ملك مالي الإسلام في عام 1050م وادى فريضة الحج وتبعه خلفاؤه الواحد تلو الاخر ومنذ عام 1235م بدا نجم مالي يظهر وضمت عدة أقاليم مجاورة اليها[2].

فقد ضمت إقليم مالي ، صوصو، واقليم غانة، وبلاد تكرور وكانت هذه الاقاليم ممالك مستقلة لكنها اندمجت في مملكة واحدة واصبحت مالي امبراطورية اسلامية ضخمة بغرب القارة الإفريقية[3].

ومن اشهر حكام مالي السلطان مانسا موسى، وقد داع صيته في العالم الاسلامي اذ ارتبط اسمه برحلته الطويلة التي قام بها الى بيت الله الحرام عام 723هـ/ 1324م في ركب قيل انه كان يضم اكثر من عشرة الاف حاج، وقد ذكر عن رحلة الحج هذه ان سلطان مالي في طريقه الى الحج بعث برسالة الى سلطان المغرب يخبره فيها ان موكبه سيمر من الطريق المحاذي لساحل البحر المتوسط فاصدر السلطان المغربي اوامره بحراسة السلطان المالي

(1)رجب محمد عبد الحليم و اخرون:المرجع السابق. ص184.

(2) الجمل شوقي عطا الله:المرجع السابق. ص89-90.

(3) نفس المرجع. ص90.

اثناء اجتيازه الصحراء، ولبسة المملكة حلة الزينة لاستقبال ضيف المغرب الذي حمل معه أحمالا من الهدايا قدمت الى الحضرة بفاس وتركت اثارها في نفوس المغاربة الذين كانوا ينظرون الى القادمين نظرة الاحترام والتقدير وقد مات منسا موسى عام 1332م بعد حكم دام خمسا وعشرين سنة وبعد موته بدا الانقسام يدب في عظام الامبراطورية فقد تولى امرها خلفاء تعوزهم القدرة[1].

وقد بلغ من عمق الحركة الإسلامية في مالي ان اهلها كانوا يحتفلون بشهر رمضان وبالأعياد الإسلامية احتفالا كبيرا، وكان السلطان يوزع أموال الزكاة والذهب علي القاضي والخطيب والفقهاء وفقراء الناس ، وكانوا سلاطين مالي يكثرون في بناء المساجد التي كانت تتخذ بجانب العبادة مكانا للتعليم والتدريس، ويذكر ان السلطان منسا موسى كان يقيم مسجدا في كل مكان تدركه فيه صلاة الجمعة اذا كان مسافرا او خارج عاصمته ومن اهم هذه المساجد مسجد او جامع سنكرى الذي اصبح جامعة علمية في مدينة تمبكت حيث وفد اليها العلماء وطلاب العلم من داخل مالي وخارجها[2]، وبلغ من اهمية هذه المساجد التي بناها سلاطين مالي بجانب ذلك انها أصبحت حرما امنا فكان السلطان اذا غضب على احد من الرعية استجار المغضوب عليه بالمسجد، وان لم يتمكن من ذلك يستجير بدار خطيب المسجد ، فلا يجد السلطان اليه سبيلا حتى يعفو عنه، وهذا يدل على مدى الاحترام الكبير الذي يكنه سلاطين مالي للامكان الدينية لرجال الدين الذين كانوا يحبطون انفسهم بهم، وكان مجلسهم لاينعقد الا بحضورهم ، ولا يبت في راي الا بعد مشورتهم ، فاذا أضفنا الى ذلك ما قام به سلاطين مالي من جهاد لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية بين القبائل الوثنية سواء داخل دولتهم او خارجها، وأضفنا ايضا ما قاموا به من اصل مشرقي عربي لأسرتهم الحاكمة

(1) الجمل شوقي عطا الله:المرجع السابق. ص91.

(2) رجب محمد عبد الحليم و اخرون:المرجع السابق. ص180.

وهي اسرة كينيا، لادركنا مدى انفعال تلك السلطنة وهؤلاء السلاطين بالتقاليد الاسلامية وبالحياة الاسلامية ذلك الوقت[1].

امبراطورية السنغاي:

قامت هذه الإمبراطورية في النيجر الوسط، وشعب السنغاي شعب زنجي وكان الاسلام قد دخل هذه البلاد في القرن الحادي عشر واعتنقه ملوكهم[2] ، ابان الحركة الضخمة التي قام بها المرابطون لنشر الاسلام في غرب القارة[3].

وقد خضعت السنغاي لسيادة مالي فترة من الزمن لكنها تحررت بعد ذلك ونمت وازدهرت، حيث اشار كثير من المؤرخين السودانيين الى ان زعماء من تمبكت رحلوا الى شمال نيجيريا في ظل نفوذ سنغي، وأقاموا هناك يفقهون الناس في الدين وينشرون الثقافة الاسلامية حتى امتد النفوذ الاسلامي المنتشر في ركاب سلاطين سنغاي حتى منطقة التشاد، وبلغت امبراطورية سنغاي اقصى اتساع لها حتى صارت اضخم من امبراطورية مالي السابقة ،واجتذبت قوتها وثراؤها ورخاؤها اعجاب المسلمين في معظم انحاء العالم الاسلامي[4].

واذا كانت دولة السنغاي قد شابهت دولة مالي من حيث تطورها العام فإنها قد شابهتها ايضا في اتخاذها مظهرا اسلاميا واضحا، بل فاقتها من هذه الناحية في بعض الاحيان وهذا التطور طبيعي فقد امتد سلطان سنغاي الى القرن السادس عشر الميلادي، وكان الاسلام قد قطع خطوات واسعة في سبيل النمو والانتشار ، وقد سعى ملوك سنغاي كما سعى ملوك

(1) رجب محمد عبد الحليم و اخرون:نفسه. ص181.
(2) الجمل شوقي عطا الله:المرجع السابق. ص91-92.
(3) رجب محمد عبد الحليم ص181
(4) نفس المرجع ص 186.

مالي من قبل هذا الاتصال بالقرى الاسلامية المعاصرة تحقيقا لروح الاخوة الاسلامية وفي هذا المجال كانت لملوك السنغاي اتصالات عديدة بملوك المسلمين في الشرق والغرب[1].

***المرحلة الثالثة:** تمتد من منتصف القرن الثامن عشر الميلادي الى اوائل القرن العشرين (1964هـ/1318م) وبعد ذلك ندخل في المرحلة المعاصرة[2]. فهذه المرحلة لاتهمنا في بحثنا هذا.

لقد استمرت حركة المرابطين في الجهاد في غرب افريقيا جنبا الى جنب مع تغلغلهم السلمي فيها، فبالرغم من ان مملكة غانا التي سقطت في ايديهم قد اعادت سلطتها بعد حوالي عشرة اعوام فقط من سقوطها، فان دخول الاسلام فيها قد ادى الى انتشاره في الاقطار المجاورة اضف الى ذلك ان المرابطون انفسهم قد سعو الى نشر الاسلام سلميا في هذه المنطقة وذلك لرجوعهم الى الزوايا بعد انهيار دولتهم حيث شرعوا في نشر تعاليم الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء[3].

لقد اكأمل الموحدون ما سبق للمرابطين ان قاموا به من جهود في سبيل نشر الاسلام في جنوب الصحراء وذلك عندما بدأت حركة التصوف تنمو وتتطور في هذه الأقاليم حتى تمكنت من السيطرة على السلطة فيها، وان حركة انتشار الاسلام في عهد الموحدين ساهم فيه الى حد كبير تشجيع هؤلاء للفكر الصوفي الذي انتشر بدوره في غرب افريقيا وشرقها بفضل الدعاة الذين ينتمون الى هذه الطرق[4].

(1) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق . ص188.
(2)الجمل شوقي عطا الله. ص92
(3) طه جمال احمد: المرجع السابق. ص115-116.
(4) نفس المرجع. ص117-118.

ان الاسلام في بدياته كان يقتصر على طوائف معينة لفئات معينة وليس عامة الشعب[1]، الى ان ظهرت جمعات منتظمة كالطرق الصوفية التي كان يقوم عليها افراد مسلمين على قدر عال من التعليم الديني، فهنا داع صيت الاسلام وقطع اشواطا نحو الانتشار بين العامة والخاصة بطرق سلمية وذلك بفضل الدور الكبير الذي لعبته هذه الطرق في نشر الاسلام وانتشاره في غرب افريقيا[2].

المطلب الثاني: الطرق الصوفية ودورها في نشر الاسلام:

يرى ابن خلدون بأن لفظ التصوف، أطلق على الذين لم ينحرفوا ونبذوا الدنيا، وهجروا لذاتها، بمعنى بقوا على أخلاق النبي صلى الله عله وسلم والصحابة وكان ذلك خلال القرن الثاني هجري / الثامن ميلادي، حيث أنه في هذه الفترة جاءت الفتوحات الإسلامية فزادت معها وسائل الترف والبذخ واتخذ عامة المسلمين حتى الخلفاء من الحرير لباسا لهم، فأطلق هذا اللفظ "الصوفية والمتصوفة" على أولئك الذين رفضوا الانغماس في الترف وارتدوا الصوف مخالفة للناس في لبس الثياب الفاخرة[3].

ويوافق الكثير من المؤرخين والعلماء ابن خلدون حيث يرون بأن التصوف كان عاما خلال القرنين الأوليين من الإسلام، لذلك لم يأخذ اسما خاصا، ولكن مع ارتباط الناس ببذخ الدنيا فإن الذين تفرغوا للعبادة ميّزوا أنفسهم بالمتصوفين، كما يرون بأن الحركة الصوفية كان ظهورها منذ أن اتخذ الزهاد من الصوف لباسا لهم وتطورت المدرسة الصوفية حيث اختلفت المناهج الدراسية فيها ويوافق الكثير من المؤرخين والعلماء ابن خلدون حيث يرون بأن التصوف كان عاما خلال القرنين الأوليين من الإسلام، لذلك لم يأخذ اسما خاصا، ولكن مع

(1) الشكري احمد: المرجع السابق.182.

(2) حسن احمد محمود: الاسلام والثقافة العربية في افريقيا، دار الفكر العربي، مصر، 1999م. ص46-47.

(3) ابن خلدون عبد الرحمن: المصدر السابق. ص514.

ارتباط الناس ببذخ الدنيا فإن الذين تفرغوا للعبادة ميّزوا أنفسهم بالمتصوفين، كما يرون بأن الحركة الصوفية كان ظهورها منذ أن اتخذ الزهاد من الصوف لباسا لهم وتطورت المدرسة الصوفية حيث اختلفت المناهج الدراسية فيها[1].

وأن ظهور التصوف في القرن الثاني الهجري / الثامن ميلادي يعد بمثابة عملية تصحيح تهدف إلى العودة بالمجتمع الإسلامي إلى سالف عهده، هذه العملية التي قادهانخبة من شيوخ التصوف الذين برزوا خاصة خلال القرن الثالث الهجري / التاسع ميلادي حيث حدد هؤلاء معالم التصوف، ووضعوا قواعده. وبحلول القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي بدأ تشكيل الطرق الصوفية خلدون والتي تعني انتظام أتباع ومريدي كل شيخ في جماعة تتميز عن الأخريات بمبادئ وتعاليم وعقائد وطقوس وأفكار شيخها، التي لابد على المريد من الخضوع لها وعدم الانحراف عنها، ويكون هذا الشيخ جدير بالاقتداء لأنه يجمع بين التصوف والعلم و الجهاد[2].

وعليه يرى المؤرخون بأن علم التصوف وتطوره مرّ بمراحل هي كالتالي:

المرحلة الأولى (بين القرنين الأول والثاني الهجريين):

تسمى بمرحلة الزهد، روادها أفراد مسلمين أرادوا العمل من أجل الآخرة، فأقبلوا على العبادة وكانت لهم طريقة زهد في الحياة فيما يتعلق بالمأكل والملبس والمسكن[3].

المرحلة الثانية (القرن الثالث الهجري):

نشأ في هذه المرحلة علم الصوفية الذي يتميز عن علم الفقه من ناحية الموضوع

(1) قاسم عبد الحكيم عبد الغني: المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، ط2، مصر، 1999م. ص143.

(2) العقبي صالح مؤيد: الطرق الصوفية بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، 2009م. ص36.

(3) بعارسية صباح: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي،(اطروحة لنيل شهادة ماجستير) كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006/2005م. ص49.

والمنهج والغاية وحتى اللغة الاصطلاحية الخاصة به[1].

كما تكونت في هذه المرحلة لأول مرة الطرق الصوفية التي كانت بمثابة مدارس يتلقى فيها المريدون آداب التصوف علما وعملا[2].

المرحلة الثالثة (القرن الخامس الهجري):

تميزت بظهور الإمام الغزالي الذي أرسى قواعد التصوف المعتدل المتماشي تماما مع الكتاب والسنة[3].

المرحلة الرابعة (القرن السادس الهجري):

تميزت هذه المرحلة بتعاظم نفوذ التصوف السني في العالم الإسلامي الذي دع إليه الإمام الغزالي، حيث ظهر في هذه المرحلة عدد من أقطاب الصوفية المسايرة لمذهب أهل السنة والجماعة كالشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفي سنة 561هـ والذي سنتعرف عليه لاحقا[4].

وقد ظهرت الطرق الصوفية أولا في مناطق العراق وسوريا وإيران وأواسط آسيا، حتى إذا جاء العصر الحديث بدأ يتضح أثرها في بقية العالم الإسلامي و بالضبط منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي[5].

وخلال الحركة التجارية بين فاس وافريقيا جنوب الصحراء وفد علماء متصوفة إلى مختلف الأقطار الإسلامية لتعليم القرآن، وغيره من العلوم، ومن بين أهم هذه المناطق نجد شمال

(1) مصطفاوي سعاد: دور الطريقة القادرية في غرب افريقيا بين القرنين 15و18م، (اطروحة لنيل ماجستير)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010م. ص31.

(2) نفسه

(3) نفس المرجع، ص32.

(4) نفسه.

(5) العقبي صالح مؤيد: المرجع السابق، ص39.

إفريقيا وغربها أين وجد فيها هؤلاء المتصوفة مجالا خصبا لنشر أفكارهم، أين تمكن هؤلاء من غرس البذور الأولى للثقافة الإسلامية الصوفية [1].

والجدير بالذكر هنا أن هذه الطرق الدينية صادفت نجاحا كبيرا في المناطق الإفريقية،

وأن العصر الزاهر لانتشار الإسلام في مجاهل إفريقيا تم عن طريق تلك الجماعات الصوفية.

كما ذكرنا سلفا بأن معظم المصادر التاريخية تتفق على أن انتشار العقيدة الإسلامية بين شعوب السودان الغربي كان عن طريق العلماء والطلبة الفاسيين، وكذا تنقيتها من بعض الشوائب التي علقت بها وأدخلت على تعاليمها إنما يرجع الفضل الأكبر فيه إلى الطرق الصوفية القادرية، التيجانية والسنوسية بخاصة القادرية باعتبارها أقدم هذه الطرق وأولاها من حيث وصولها وتغلغلها في هذا الجزء من إفريقيا، ، فكانت الزوايا التي أسسها شيوخ هذه الطرق عامة بؤرات لنشر الدعوة بين الوثنيين في هذه البلاد، العامة منهم والخاصة، الفقراء وميسوري الحال[2].والتي كان لها دور كبير في نشر الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء.

ومن اشهر الطرق الصوفية التي انتشرت في عهد الموحدين في السودان الغربي الطريقة القادرية التي اتخذت من مدينة تاكدا التي تقع في قلب الصحراء مقرا لها حيث اعتنقها عدد كبير من قبائل صنهاجة كما انتشر الاسلام عن طريق دعاة هذه الطريقة بين الشعوب الزنجية واعتنقه الدعاة الوثنيون على طول الطرق التجارية وقاموا بنشره على نطاق واسع في اقصى الجنوب والغرب[3].

(1) الفيتوري عطية مخزوم: المرجع السابق ص250.

(2) البخاري حمودة اصلاح محمد: انتشار الاسلام والثقافة العربية في افريقيا فيما وراء الصحراء، دار الكتب، ط1، ليبيا،2004. ص124.

(3) طه جمال احمد: المرجع السابق، ص118.

الطريقة القادرية: و تنسب هذه الطريقة إلى محمد محي الدين عبد القادر بن أبي صالح (أبو محمد محي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني) المولود في مدينة جيلان من طبرستان في مارس (740هـ - 561هـ/1078م-1166م)، وهو من كبار الزهاد والمتصوفين ، برع في أساليب الوعظ وله مصنّفات في التصوف مثل " الغنية لطالب طريق الحق "، " الفتح الرباني " ، "فتوح الغيب " و" الفيوضات الربانية ". كان يأكل من عمل يديه حيث اشتغل في التدريس والإفتاء في بغداد وتوفي بها، ويقال أنه أول من نادى بالطرق الصوفية[1].

وهي أهم وأقدم طريقة صوفية في عهد الموحدين والذين عملوا على نشرها في بلاد السودان الغربي، إذا تأسست خلال القرن الخامس للهجرة/11م، و برزت في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي حيث كانت تتسم بالإصلاح، والإرشاد، والتسامح، ونشر المعرفة والعلم ، وهي تتبع المذهب المالكي[2].

وقد ارتبط جل الأفارقة في السودان الغربي الإسلام، بالطريقة القادرية التي كانت أكثر الطرق انتشارا وحماسا للتبشير بالعقيدة الإسلامية في هذه المنطقة، أين أسس الدعاة القادريون مراكز رئيسية لتنظيم دعوتهم[3] . ولقد لعبت القادرية دورا رياديا في نشر الإسلام من جهة، وتصحيحه من جهة أخرى، بعد أن مارس سكان السودان بعض العادات الوثنية التي اختلطت بالمثل والقيم الإسلامية. وصار من الضروري ظهور رجال الإصلاح الذين عملوا على تأسيس مجتمعات إسلامية اتخذت من الشريعة منهاجا وسبيلا للحكم.

(1) الحفني عبد المنعم : الموسوعة الصوفية ، دار الرشاد ، ط1 ، مصر ، 1992م. ص113.

(2) شعباني نور الدين: المرجع السابق، ص166.

(3) ذهني محمد علي الهام: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850هـ-1914م، دار المريخ، الرياض، 1988. ص31-32.

على العموم فإن القادرية بفروعها كان لكل منها بصمتها في تاريخ السودان الغربي الذي انتشرت زواياها في كل ربوعه، إذ لا تجد قرية فيه إلا وكانت فيها زاوية قادرية [1].

وقد كان أتباع هذه الطريقة ينشرون الإسلام، ويدعون إلى مبادئ الدين بالحكمة والموعظة الحسنة والطرق السلمية:

أولا بواسطة التجارة لأنه من خلال احتكاك التاجر الإفريقي بالتجار المسلمين القادريين كان ينجذب إلى هذا الدين وذلك تأثرا بأخلاقهم ومعاملتهم له[2].

ثانيا بواسطة التعليم ومقاومة التبشير المسيحي، وكذا الإرشاد، وأن يكون الداعي القادري قدوة لغيره، بالإضافة إلى نشر الدعوة بين الوثنيين وتنظيم البعثات إلى الأزهر وتونس، طرابلس والقيروان، ثم استغلال المبعوثين بعد عودتهم للعمل في نشر العقيدة بين ذويهم.

ثالثا العمل على تأسيس المساجد وفتح المدارس بالإضافة إلى المصاهرة مع أهالي البلاد وشراء العبيد الذين يعلمونهم مبادئ الإسلام [3].

بمعنى أن القادريون استخدموا كل الوسائل واتبعوا كل السبل التي يمكن إتباعها وبذلوا كل الجهود التي تساعد على نشر الدعوة الإسلامية، وهذا منذ نفوذها إلى غرب إفريقيا خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي على يد أحد أقطابها الشيخ المغيلي الذي ظل مشتغلا بالدعوة والوعظ والتدريس والقضاء والفتوى وبذل النصح للأمراء وشيوخ القبائل، وقد أجمع المؤرخون بأن الإسلام دخل إلى عدة مناطق من هذه البلاد بواسطة هذا العلامة أو بواسطة تلاميذه [4].

---

(1) مؤنس حسين: الطرق الصوفية واثرها في نشر الاسلام، مكتبة الثقافة العربية الدينية، ط1، بور سعيد، 2000م. ص27.

(2) نفس المرجع: ص24.

(3) البخاري حمودة اصلاح: المرجع السابق. ص125-127.

(4) توماس آرلوند: الدعوة الى الاسلام، ترجمة: حسن ابراهيم، مكتبة النهضة المصرية، ط1، مصر، 1947م. ص274.

وقد استمر عطاء دعاة القادرية ولم يتوقف خلال القرون اللاحقة رغم تقلص نفوذها وتضائل دورها خلال القرنين السابع عشر و الثامن عشر[1].و تحولت الصوفية عن ما نشئت عليه من اعتكاف للناس إلى صوفية عاملة ومرابطة في بلاد السودان الغربي الذي تم بفضلها تحويله إلى دار إسلام[2].

وهكذا انتشر الإسلام انتشارا واسعا بين فاس والسودان الغربي بفضل الطريقة القادرية ورجالها من جهة، ومن جهة أخرى انتشر الإسلام كنتيجة لتقبل شعوب هذه المنطقة العقيدة الإسلامية للخير الذي تقدمه لهم طواعية بدون التماس أجر بخاصة وأن القادرية استخدمت الأساليب السلمية في نشر هذا الدين.

(1) ذهني محمد علي الهام: المرجع السابق. ص42.

(2) مؤنس حسين: المرجع السابق. ص57.

المبحث الثاني: العلاقات الثقافية:

كان التعليم و لا يزال مصدر عز الأمم والمجمعات وأساس تحضرها، وتقدمها

فبقدر ما تهتم الأمم بتعلم أجيالها بقدر ما تحافظ على وجودها وبقائها والعكس صحيح، فإذا أهملت هذا الجانب أصيبت في صميمها وعاشت على هامش الحضارات.

فإن ثقافة غرب إفريقيا كانت قبل الإسلام ثقافة يحكمها فكر وثني، خالي من القيم العقلانية وبالتالي لم تكن تعرف أصول التعليم، و لما جاء الإسلام إلى هذه البلاد ودان به كثير من أقطارها عمل ملوكها بنظامه، وكان للعلماء والفقهاء دور عظيم فيه[1].

ويفيد تاريخ هذه المنطقة أنه لم يعرف أي تعليم سابق سوى التعليم العربي، حيث قامت فيه على ضوئه مدارس ومعاهد للدراسات الإسلامية والعربية في مدن متعددة بها، من أهمها تمبكتو التي تعد من أهم المراكز الإسلامية، و التي نشأت على أيدي التوارق في أواخر القرن الخامس الهجري،إذ وصفها السعدي بأنها كانت مأوى للعلماء و العابدين وكذا الصوفيين، بمعنى أنها استقطبت أعدادا كبيرة من العلماء الذين هاجروا إليها واستقروا بها[2] ، كما يمكن القول أن دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا، كان متزامنا مع دخول اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، بمعنى أن الإسلام لم يكن دينا فحسب بل ثقافة اتخذت العربية لغة لها.

(1) بريما باري عثمان: المرجع السابق، ص46-47.

(2) السعدي عبد الرحمن ، تاريخ السودان ، طبعة هوداس ، ط1 ،فرنسا ، 1893 . ص21.

المطلب الاول: نشر اللغة العربية:

عرفت اللغة العربية ازدهارا كبيرا خلال القرن الثامن للهجرة/ 14م، والذي يمثل عصر الأوج بالنسبة لإمبراطورية مالي، حيث سجل نهضة علمية راقية، عمل خلالها الملك منسا سليمان،على جعل اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة المحلية. كما قام أخوه منسا موسى من قبله، بإرسال بعثات طلابية إلى مدن المغرب الإسلامي لمتابعة دراساتهم. وخلال حجه عام 726هـ/1325م، اشترى كثيرا من الكتب العربية من القاهرة، ومكة، وعند عودته من الحج، أنشأ مدرسة كبيرة في مالي لتعليم العربية والقرآن[1].

يقوم هذا العلم ببيان الموضوعات اللغوية، واستعمال الالفاظ في مواضعها، وكانت مدينة فاس رافعة لراية اللغة العربية منذ انبثاق فجر النهضة العلمية في المغرب على عهد المرابطين، وقد درس في جامع القرويين ومساجد فاس الاخرى ومدارسها العديد من علماء اللغة العربية،اما في العصر الموحدي فقد اشتهر العديد من علماء اللغة العربية بمدينة فاس[2].

ومن الصعب تحديد الفترة التي بدأت فيها اللغة العربية الانتشار في السودان الغربي، و إن كانت بعض المصادر التاريخية تذكر أن تجار مدينة فاس هم من نقلوا اللغة العربية إلى افريقيا جنوب الصحراء وبالتحديد منطقة السودان الغربي.

وذلك في العقود الأخيرة للقرن الأول الهجري / السابع الميلادي إزاء ترددهم على أسواق هذه البلاد، ولكن الذي هو مؤكد أن انتشار اللغة العربية في السودان الغربي واكب انتشار الإسلام فهما متلازمان، وحيثما دخل الإسلام، دخلت معه لغة القرآن، و هكذا أصبحت هذه

(1) شعباني نور الدين: المرجع السابق. ص169.

(2)طه جمال احمد: المرجع السابق. ص284-285.

اللغة هي لغة الدين والثقافة والحياة الإدارية بتلك المناطق التي نفذت إليها العقيدة الإسلامية[1].

وكما أشرنا أن استعمال لغة الضاد في القرون الأولى من دخول الإسلام إلى هذه البلاد كان ضئيلا في حياة السودانيين اليومية والدينية فلم يكن يتعدى حلقات العلم والدرس ودواوين الدولة، وهذا راجع لضآلة عدد الفقهاء والعناصر العربية التي تحملت مسؤولية نشرالإسلام، وكذا افتقاد هؤلاء للدعم المادي والمعنوي، بالإضافة إلى قلة الحواضر السودانية، كل هذا ساعد على عدم تعريب السودانيين، واحتفاظهم بعد إسلامهم بلغاتهم ولهجاتهم المحلية[2].

وهنا تنبه الحاج **أسكيامحمد**[3] لخطورة المشكل لأن معظم شعوب تلك البلاد كانوا عاجزين حتى على فهم خطبة الجمعة، رغم تهافتهم الشديد على المساجد يوم صلاة الجمعة، لدرجة أن الخطيب كان يستعين بمترجم حتى يتمكنوا من الفهم واستيعاب ما يقول، لذلك رأى **المغيلي**[4]أسكيا بأن هذا يهدد العقيدة الإسلامية و يؤثر سلبا على مسيرتها في بلاد السودان الغربي، وعليه استشار هذا الأخير الشيخ في ذلك وتعتبر قضية المشكل اللغوي، أول قضية يعرضها أسكيا على العلامة الذي أصدر فتوى بهذا الشأن[5].

---

(1) الجمل شوقي عطا الله: المرجع السابق. ص116.

(2)الشكري احمد: المرجع السابق. ص291-292.

(3) أسكيا الحاج محمد: أو الأسقيا محمد الأول، سراكولي الأصل، كان أحد الضباط البارزين في جيش الأمير سني علي، وفي 1493م قام الأسقيا بثورة ضد هذا الأخير واستولى على عرش سنغاي واستمر عهد الأسقيين في ستغاي حتى سنة 1591م.انظر الشكري احمد: المرجع السابق. ص292.

(4) محمد بن عبد الكريم المغيلي: ولد هذا الإمام بتلمسان، ثم استقر بمدينة تمنطيط في الجنوب الجزائري أين اشتغل بالتدريس، كانت له مواقف من يهود المنطقة فحاربهم، انتقل بعدها إلى غرب إفريقيا ليعمل على نشر الإسلام ثم عاد إلى توات أين توفي سنة 1503م. انظر مؤنس حسين: المرجع السابق. ص65.

(5)الشكري احمد: المرجع السابق. ص292-293.

ومن هنا يبدأ بروز دور القادريين في الدفاع عن اللغة العربية والعمل على نشرها، لأننا كما نعلم بأن الشيخ **المغيلي** هو من أنصار الفكر الصوفي القادري، كذلك نجد من العوامل التي ساعدت على انتشارها هي إجماع أغلب أئمة المسلمين بعدم جواز ترجمت القرآن الكريم، وعدم جواز قراءته بغير العربية، لذلك كان لابد على من يسلم في افريقيا جنوب الصحراء أن يتعلم العربية[1].

أما فيما يخص إسهام الدعاة القادريين في ذلك، فإننا ربما لا نكون مغالين إذا قلنا بأنهم تحملوا العبء الأكبر في نشر اللغة العربية التي هي مرادف لنشر الإسلام، فلا يكاد المرء يسلم حتى يتعلم القرآن وبالتالي يتعلم العربية هذا من ناحية، و من ناحية أخرى نعلم بأن الطريقة القادرية انتشرت بشكل واسع في هذه السودان الغربي عن طريق تجار فاس، وقام دعاتها بنشاط كبير فيما يخص إنشاء الزوايا والمدارس القرآنية، وإرسال البعوث إلى البلدان الإسلامية[2].

بمعنى أنه من نتائج انتشار الدعوة القادرية، انتشار أماكن تدريس القران الكريم ففي كل مكان تسرب إليه دعاة الطريقة انتشرت بخاصة الكتاتيب التي كان يقبل عليها الأفارقة لرغبتهم في تعلم القراءة[3].

ومما ساعد كذلك على انتشار العربية هو عمل جل مريدي الطريقة في مهنة الكتابة والتعليم، وهكذا ارتبط ازدهار الثقافة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا بما تقدمه الطريقة القادرية لها[4].

(1) محمود حسن احمد: الاسلام والثقافة العربية في افريقيا، دار الفكر العربي، مصر، 1999م. ص43

(2) نفسه المرجع: ص37و 229.

(3) دي ، فيج جي : تاريخ غرب إفريقيا ، تر السيد يوسف ، ط1 ، دار المعارف ، مصر ، 1982م. ص287.

(4) الجمل شوقي عطا الله: المرجع السابق. ص116.

إنّ انتشار الخط العربي في السودان الغربي، ضل ملازما لانتشار الإسلام، والثقافة الإسلامية العربية، فدخل كل مدينة، وكل إقليم دخله الإسلام،إلى أن بلغ عدد اللغات الإفريقية التي كتبت بالخط العربي منذ دخول الإسلام إلى يومنا هذا، أكثر من ثلاثين لغة، وعلى رأسها كبريات اللغات الإفريقية، ومنها لغة الهوسا، لغة الفولاني، لغة لسواحلي، الماندينغ، السوننكي، السراكولي، الولوف، وغيرها[1].

المطلب الثاني: نشر التعليم

يعد ميدان التعليم أيضا، من المظاهر التي تبرز التأثير الثقافي الفاسي في بلاد السودان، حيث كان أساس التعليم في السودان هو القران، الذي تدور حوله مختلف مناهج التعليم،من فقه، وسيرة، وتفسير، وأصول الدين،والتاريخ ، وكان التعليم في أوّل الأمر، محصورا على الأساتذة العرب والبربر القادمين من المغرب الإسلامي، و بعد مدة تكونت طبقة مثقفة من السودانيين، تولت مهمة التعليم بعدما تخرجت من المدارس العربية في فاس ومصر. ثم بدأت هذه الطبقة من المدرسين تلقن ملوك السودان حديثي العهد بالإسلام القرآن، وكانوا يتلقون مكافآت على ذلك. و قد اقتصر التعليم على العلوم الدينية، لذلك وجدنا أن أغلبية المعلمين الأفارقة، كانوا من رجال الدين الذين أتقنوا اللغة العربية، ومارسوا التعليم بها، كونها لغة الدين والثقافة والتجارة[2].

واهتم الصوفية خاصة القادريين منذ مجيئهم إلى السودان الغربي بالتعليم، وقد كان النظام التعليمي الذي وضعه شيوخ الطريقة يستجيب لمتطلبات المجتمع السوداني من ناحية و للإسلام من ناحية أخرى.

(1) شعباني نور الدين: المرجع السابق. ص170.

(2) نفسه المرجع. ص170-171.

كما أدى ذيوع أخبار الطريقة وتعداد مدارسها إلى نزوح الطلاب المريدين إليها من مختلف أصقاع إفريقيا، إذ كانوا يتلقون في هذه المدارس القادرية ما شاءوا من العلوم، بالإضافة إلى المأكل والمأوى، لأن نظام المساكن الملحقة بالزوايا والمساجد يعتبر من اهتمامات التعليم الصوفي في السودان الغربي[1]، حيث هيأ هذا النظام الجو الملائم للطلاب، من أجل الدراسة والتحصيل، فالمساكن الداخلية، كانت مقصدا لطلاب العلم من جميع أنحاء المنطقة ومن خارجها، و مما زاد من أهمية المساجد والزوايا والمدارس القرآنية التي كانت تابعة للطريقة القادرية، أنه لم تكن هناك مدارس نظامية بعدة مناطق في غربإفريقيا[2]. وقد سلك الصوفيون منفاس في نشر التعليم عدة طرق واستخدموا عدة وسائل من بينها:

* من خلال تعليم القران الكريم "قراءة و كتابة"، حيث يقوم الداعي بالعمل على تلقينه للمريدين، وما إن يصل المريد لدرجة معينة في الحفظ والتحكم في كتابته، يقوم هو بدوره بتعليمه لآخرين في منطقته أو في مناطق أخرى.

*كذلك من وسائل نشر القرآن عند الصوفية إحياء الليالي في المناسبات الدينية المختلفة، وفي ليالي معينة أيام الأسبوع، و فيها يدرسون القرآن الكريم و يتدارسونه بشكل جماعي، وهذا ما يشجع المريدين و يبعث في نفوسهم الحماس.

* من واجب كل شيخ أو داعي إنشاء زاوية أو مدرسة قرآنية، لتقام فيهم الصلوات والأذكار، وليدرس فيهم مختلف العلوم الإسلامية، وهذا ما أدى إلى انتشار الزوايا والمدارس وحتى المساجد في أماكن مختلفة من السودان الغربي.

(1) قداح نعيم: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للطباعة والنشر،الجزائر، 1975م. ص141

(2) زبادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م. ص65.

* كذلك نجد أن دعاة القادرية يختارون المناطق النائية، فكان الواحد منهم يلجأ إلى تلك الأماكن بعرض نشر العلم و الدين.

* كما سلك معظم أقطاب القادرية طريق التأليف في نشر العلوم الإسلامية وعلوم التصوف وغيرها، فحركت التأليف هذه ساهمت في نشر العلم[1].

ومن أعلام الفكر الصوفي القادري في غرب إفريقيا ممن اهتموا بالتأليف نذكر على سبيل المثال لا الحصر **عبد الكريم المغيلي** الذي لديه مسيرة علمية وتعليمية وإصلاحية طويلة بقيت شاهدة على ما بذله من جهد وجهاد في محاربة للجهل، ولم يقتصر تأثير **المغيلي** على من عاصروه فقط وإنما امتد عبر الزمن على مجمل الحركة الفكرية في السودان الغربي، فقد تأثر معظم العلماء الذين جاءوا من بعده بمنهجه وطرق تفكيره[2].

المطلب الثالث: المؤسسات التعليمية ودورها في التعليم العربي:

كانت عناية العلماء الفاسيين بالتعليم كبيرة، ولذلك أشرفوا على إدارة مؤسساتهم التعليمية بأنفسهم في معظم الأحيان لضمان مراقبة أدائها، كما قاموا بالربط بين التربية والتعليم.وتتمثل هذه المؤسسات التعليمية ونشاطاتها فيما يلي:

(1) برايما باري: المرجع السابق. ص96.

(2) التمبكتي احمد بابا: نبل الابتهاج بتطريز الديباج، كلية الدعوة الاسلامية، ط1، ليبيا، 1989م، ج1و2. ص576.

1- نشاط المساجد:

ان تاريخ التربية الاسلامية يرتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد، فهو المركز الرئيسي لنشر الثقافة العربية الاسلامية وخاصة في مدينة فاس فهو مركزا تدور حوله الحياة الدينية والعقلية والسياسية في المدينة[1].

ولما كانت الدولتان المرابطية والموحدية قد قامتا على اساس ديني فقد اهتم ولاة الامر من المرابطين والموحدين ببناء المساجد في اماكن متفرقة، فقد شهدت مدينة فاس اهتماما بالغا بإنشاء المساجد فيها والعناية بها، والتي كان لها دور كبير في نشر الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء. ومن اشهر مساجد فاس التي قامت بدورها كمعهد للتعليم ومركز لنشر الاسلام في السودان الغربي جامع القرويين الذي وضع حجر اساسه عام 245هـ/859م ليكون دار فقه وعلم، واهتم المرابطون ومن بعدهم الموحدون بهذه المؤسسة الدينية العلمية، وكان مركزا علميا ذا اهمية عظمى، وكعبة يحج اليها الطلبة من جميع انحاء المغرب الاسلامي ومن السودان الغربي لتلقي العلوم الاسلامية وغيرها من العلوم الاخرى ونشرها[2].

قامت في إفريقيا جنوب الصحراء مؤسسات للتعليم العربي الإسلامي، وتعد المساجد أهم هذه المؤسسات فيما يخص هذا المجال، لأن المسجد لم تقتصر رسالته على أداء الصلوات فقط، وإنما كان بمثابة مدرسة تعليمية وتربوية، حيث لعبت المساجد دورا كبيرا في تفقيه الناس ونشر الاسلام في جنوب الصحراء[3]. مما جعل الأوروبيون يخشون من الصوفية و يعتبرونها خطرا على التنصير هو عمل هذه الأخيرة على نشر المساجد في كل جزء من السودان الغربي بهدف توفير التعليم القرآني للأطفال، وبالتالي انتشار العقيدة الإسلامية وتثبيتها.

(1) طه جمال احمد: المرجع السابق. ص273.

(2) نفس المرجع: ص273-275.

(3) قداح نعيم: المرجع السابق. ص156.

وما يستخلص مما تقدم أن العملية التربوية التعليمية في افريقيا جنوب الصحراء انطلقت منمساجد فاس، أين اتخذها العلماء والطلبة أماكن للعلم والعبادة معا. كما نجد أن الصوفيون لم يكتفوا بتدريس القرآن والعلوم المرتبطة به فقط في المساجد، وإنما أدرجوا ضمن برامجهم الدراسية مختلف العلوم الأخرى كالنحو، الفلسفة، الرياضيات، الهندسة، الفلك، الأدب، الطب، التاريخ، فن الكتابة، التراجم فازدهرت بذلك الثقافة الإسلامية و الحركة العلمية في السودان الغربي[1].

وقد اشتهرت في هذه المنطقة مساجد كثيرة أهمها جامع سنكري **بتمبكتو**[2] الذي أصبح فيما بعد جامعة تضاهي الأزهر في منزلته العلمية[3]

-2- نشاط المدارس القرآنية (الكتاتيب):

عرفت مدينة فاس مدارس احتضنت الطلبة الذين يردون لتلقي العلم من سائر اطراف البلاد وخاصة من السودان الغربي، وقد ظلت المدرسة تقوم بمهمتها في ايواء طلبة العلم وتثقيفهم طيلة ايام المرابطين، اما بالنسبة للمدارس في عهد الموحدين الذين ازدهرت في عهدهم المعارف بما أنشأوه من معاهد ومدارس في افريقيا جنوب الصحراء والاندلس... وكانت مدارس فاس في عهدهم تأوي الطلبة ومنهم السودانيين، ولكن يد الزمن عبثت بمعالمها كما كان الامر بالنسبة لمدارس المرابطين [4].

(1) زبادية عبد القادر: المرجع السابق. ص65.

(2)- تأسست مدينة تمبوكتو في القرن الحادي عشر ميلادي على أيدي قبائل الطوارق الصحراوية احتلت الصدارة فيالنصف الثاني من القرن الرابع عشر في الحركة التجارية، واشتهرت في القرن الخامس عشر بالأنشطة الثقافية الإسلامية المتميزة، فأصبحت قبلة المتعلمين من كل الجهات وكان فيها مسجدان كبيران. ظهر في هذه المدينة أهم العلماء الذين لعبوا دورا حيويا في مجال الثقافة العربية والإسلامية، وللاطلاع أكثر على هذه المدينة أنظر: عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمير، ط1، القاهرة، 2000، ص 24.

(3)البخاري حمودة اصلاح محمد: المرجع السابق. ص65.

(4)طه جمال احمد: المرجع السابق. ص276-277.

كانت المدرسة القرآنية مؤسسة تعليمية مستقلة، وكان يطلق عليها اسم الدارة في إفريقيا جنوب الصحراء، كما تعددت ألقاب القائمين عليها، أما فيما يخص دورها في مجال التعليم فلا يقل عن دور المساجد بل فاقه خاصة فيما يتعلق بتعليم القرآن الكريم واللغة العربية، وحتى العلوم الإسلامية الأخرى كالفقه والحديث الشريف، ولفرط اهتمام مسلمي السودان بهذه المدارس بخاصة وأنها تدرّس بدون مقابل، حيث عمل الصوفيون على إقامتها في كل بقعة تطأها أقدامهم، ومن أمثال هؤلاء نذكر الشيخ **عثمان فوديو**[1]، والذي شجع هذا النوع من التعليم، كما عمل على نشر هذه الكتاتيب في كافة المناطق التي كانت تحت نفوذه، حيث قام بدفع المجتمع السوداني للاهتمام بها وذلك بإرسال الأطفال من بنيين وبنات إليها ليتعلموا بها، لذلك كانت لهذه المبادرة نتائج بعيدة المدى أهمها تثبيت التعليم الإسلامي العربي في بلاد السودان الغربي، كما أصبح تعلم اللغة العربية أساسا للعلم و المعرفة[2].

وقد وضع التعليم الصوفي برنامج دراسي مضبوط لتدريسه، حيث كان التعليم يتم وفق ثلاث مراحل أساسية هي:

***المرحلة الأولى:** يتعلم فيها المتعلم الحروف الهجائية العربية و مبادئ الكتابة.

***المرحلة الثانية:** يتم فيها حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ الدين الإسلامي.

***المرحلة الثالثة:** يتناول فيها تفسير القرآن الكريم و يشرف عليها شيوخ مختصين في هذا المجال[3].

(1) عثمان دان فوديو: هو عثمان بن محمد بن صالح بن هارون بن محمد بن جب الملقب بالفقيه (بن فودي)، هو من نيجيريا حاليا ولد سنة (1168هـ - 1754 م)، وتوفي سنة (1232 هـ - 1817 م)، تزعم عثمان دان فوديو حركة إصلاحية جهادية تهدف إلى إقامة خلافة إسلامية في بلاد السودان ، ونجح في ذلك سنة 1804م واستمرت دولته إلى غاية دخول الاستعمار.انظر البخاري حمودة اصلاح محمد: المرجع السابق. ص69.

(2) مصطفاوي سعاد: المرجع السابق. ص86.

(3) زبادية عبد القادر: المرجع السابق. ص63-64.

وبذلك أصبحت هذه الكتاتيب التي تعتبر القاعدة الأساسية للتعليم في فاسوالسودان الغربي تقوم بدور السد المنيع أمام أي محاولة تريد النيل من الثقافة الإسلامية و اللغة العربية.

3- نشاط الزوايا:

ارتبطت هذه المؤسسات بالطرق الصوفية التي أقامتها ومنها القادرية، والزوايا في فاس هي موضع للعبادة ومدرسة لتعلم القرءان الكريم وعلومه، والحديث الشريف وعلومه، وعلم الكلام والتصوف، واللغة والفقه إلى غير ذلك من العلوم، وملتقى للتجارالسودانيين، ومكان لتلاوة الأحزاب والأوراد[1].

ولشدة ارتباط المسلمين السودانيين بهذه الزوايا في هذا الجزء من إفريقيا صارت تنتسب إليها بعض المجموعات السكانية.

(1) مؤنس حسين: المرجع السابق، ص27.

خاتمة

خاتمة:

ونأمل من خلال عملنا المتواضع هذا نكون قد أعطينا لمحة شاملة و واضحة لمدينة فاس وعلاقاتها بإفريقيا جنوب الصحراء بين القرنين الثامن و الخامس عشر الميلادي، و نأمل كذلك أننا اجبنا على التساؤلات التي تم طرحها في الإشكالية، وما توصلنا إليه من استنتاجات لا تعد أحكام نهائية و حتى تكون هذه الدراسة منطلقا لدراسات اكاديمة و علمية أخرى، لذا وجدنا أنفسنا أمام مجموعة من النتائج تمثلت فيمايلي:

- أن مدينة فاس تتمتع بمميزات و خصائص متنوعة من الناحية الجغرافية و التاريخية.

-كما أنها شهدت عدة حضارات كانت على رأسها الادارسة و المرابطين والموحدين الذين أحدثوا فيها عدة تغيرات، من جميع النواحي خاصة الناحية العلمية و الفكرية.

- معرفة الحياة الاقتصادية في هذه الدويلات خاصة من الناحية الخارجية و بالضبط مع إفريقيا جنوب الصحراء.

- ظهور طرق و مراكز تجارية بين فاس و السودان الغربي التي جعلت القوافل التجارية متنوعة بينهما.

- إنشاء عملية المبادلات التجارية المتنوعة من كلا المدينتين ذلك من خلال الصادرات و الواردات المتبادلة بينهم عبر سلع متنوعة ومختلفة من قمح و ذهب و جلود وأقمشة....الخ.

-تأثير الثقافي و الديني من خلال العلاقات بينهم و التي أحدثها التجار المسلمين في صفوف الأفارقة، أدى إلى نشر الدين الإسلامي و تعاليمه عن طريق اللينة الحسنة و التي ظهرت بصفة خاصة من الناحية الخلقية.

– كما نستنتج من هذا أن مدينة فاس شهدت عدة علا قات مع عدة دويلاتها، وكانت سببا في ظهور مراكز تجارية طرق متطورة جعلت تجارها أن يكون سببا في نشر العلاقة مع السودان الغربي إلا أن هذا الأمر كان محدودا وهذا من خلال.

– الصعوبات التي واجهتها تلك القوافل التجارية خاصة في تلك الصحراء القاحلة الوعرة وعدم قدرة التجار على الصمود في مواجهتها .

ومن خلال هذا يتضح لنا أن مدينة فاس كانت لها علاقة تجارية مميزة مع جنوب الصحراء خاصة في عهد كل من دويلاتها ، إلا أن هذا لم يدم طويلا لنشر تعاليم الإسلام بطرقه الصحيحة .

الملاحق

الملحق رقم 1 : المدينتان الأصليتان

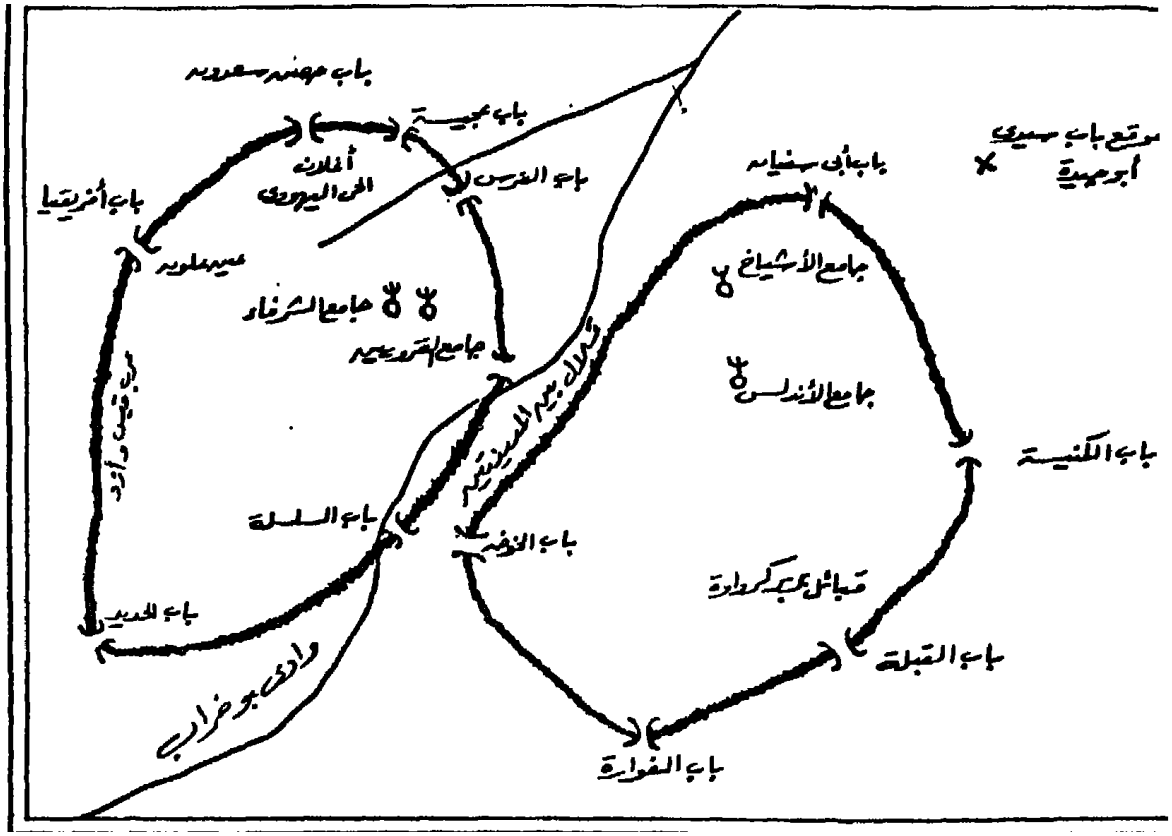

1- طه أحمد جمال : مدينة فاس في عصري المرابطين و الموحدين 448 هـ /1056 م إلى 668 هـ/1269م . ص53 .

الملحق رقم 2 : أسوار فاس و صوامعها العتيقة

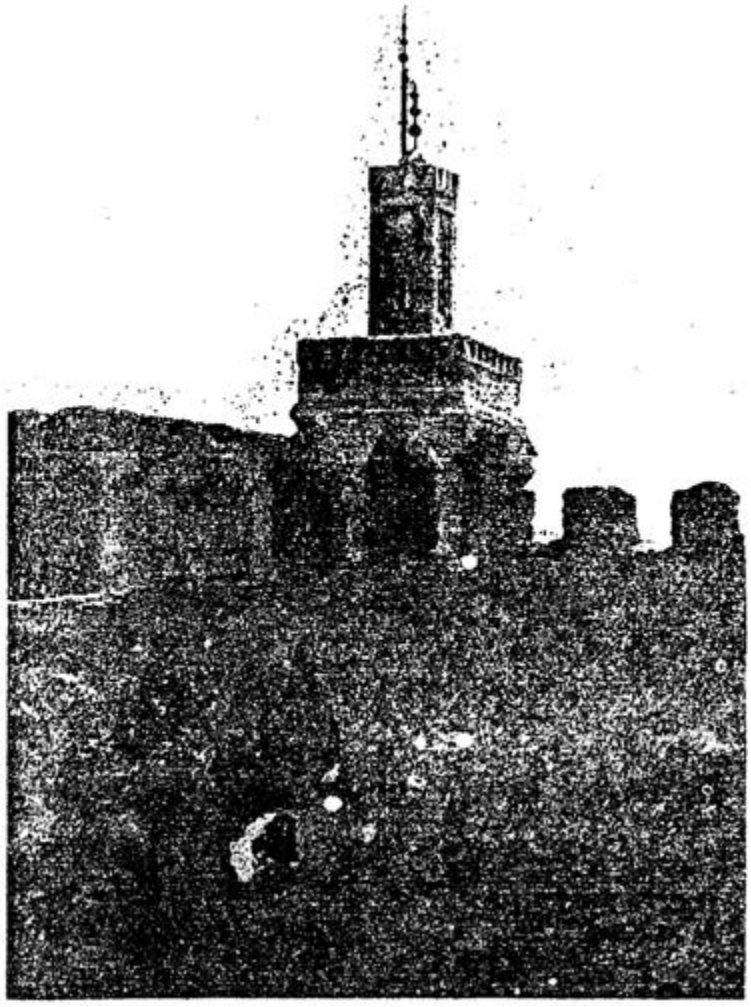

2- طه أحمد جمال: المرجع السابق . ص48.

الملحق رقم 3: باب عسيجة الثالث.

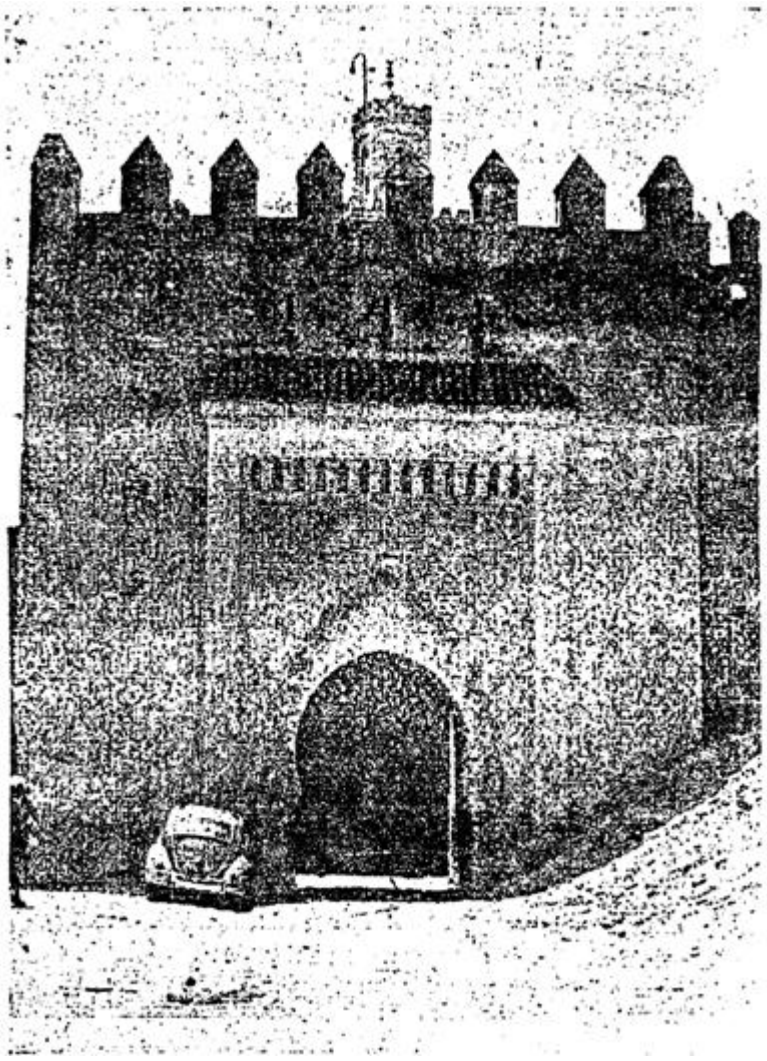

3- طه أحمد جمال: المرجع السابق.ص51.

الملحق رقم 4: باب الجديد.

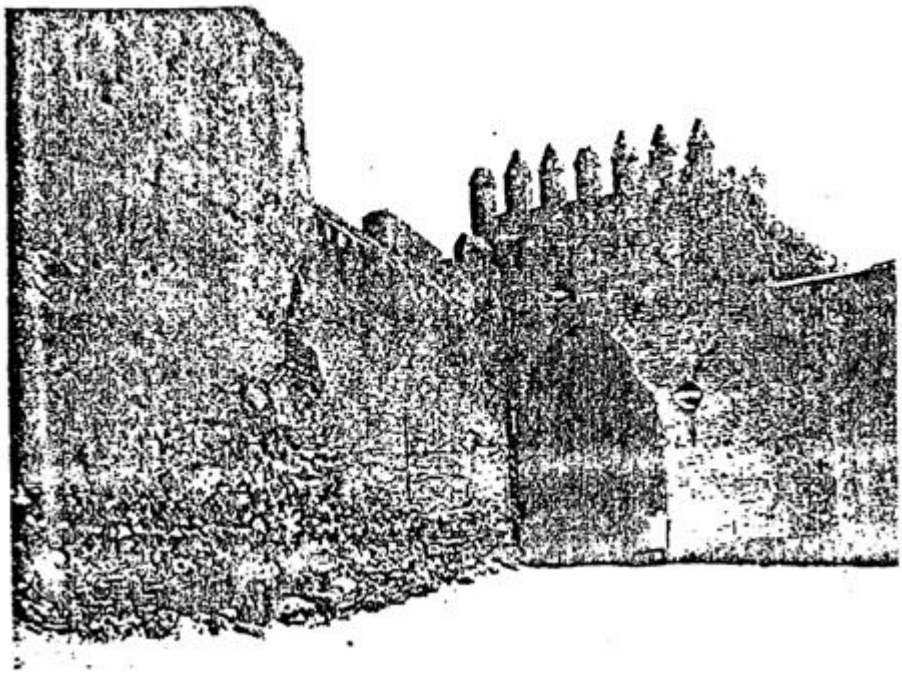

4- طه أحمد جمال: المرجع السابق. ص50.

الملحق رقم 5: موقع التجارة عبر مناطق صحراوية ق 11،9م.

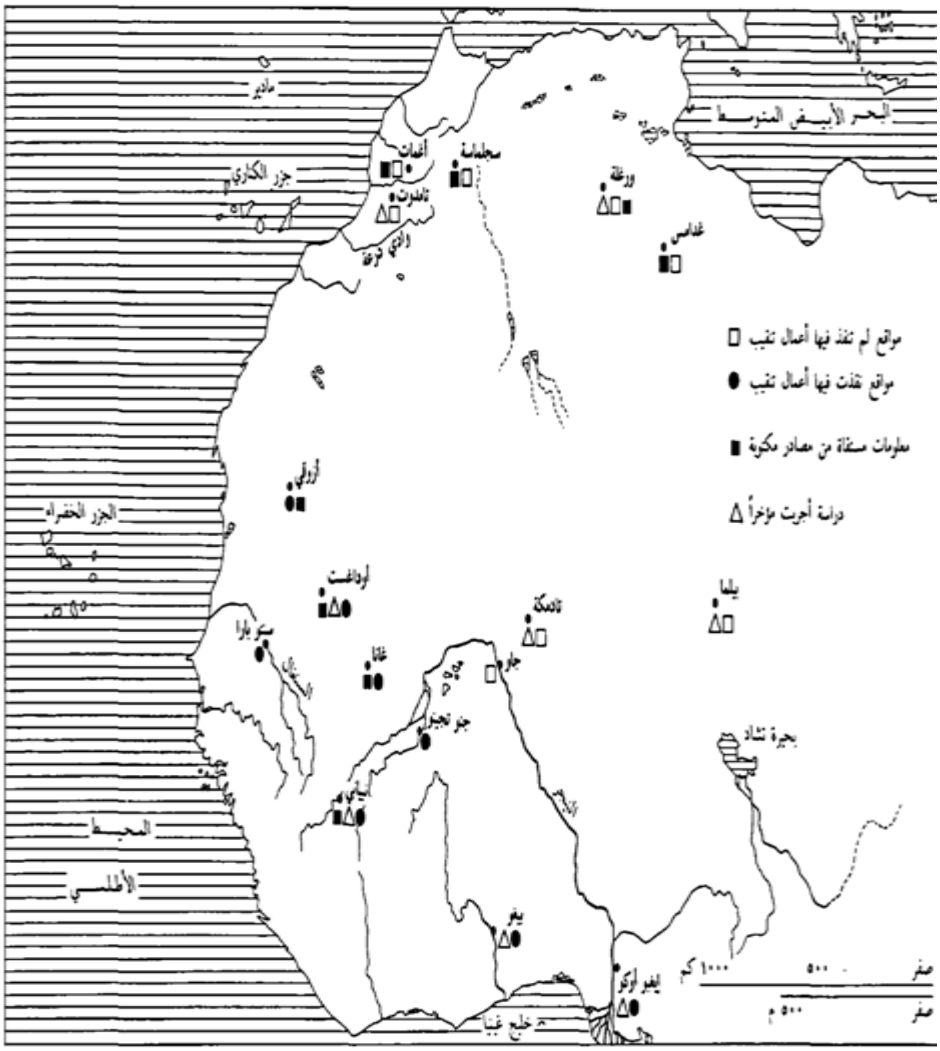

5- م.الفاسي :تاريخ إفريقيا العام الجزء 3. ص457.

الملحق رقم 6: الطرق التجارية لابن حوقل.

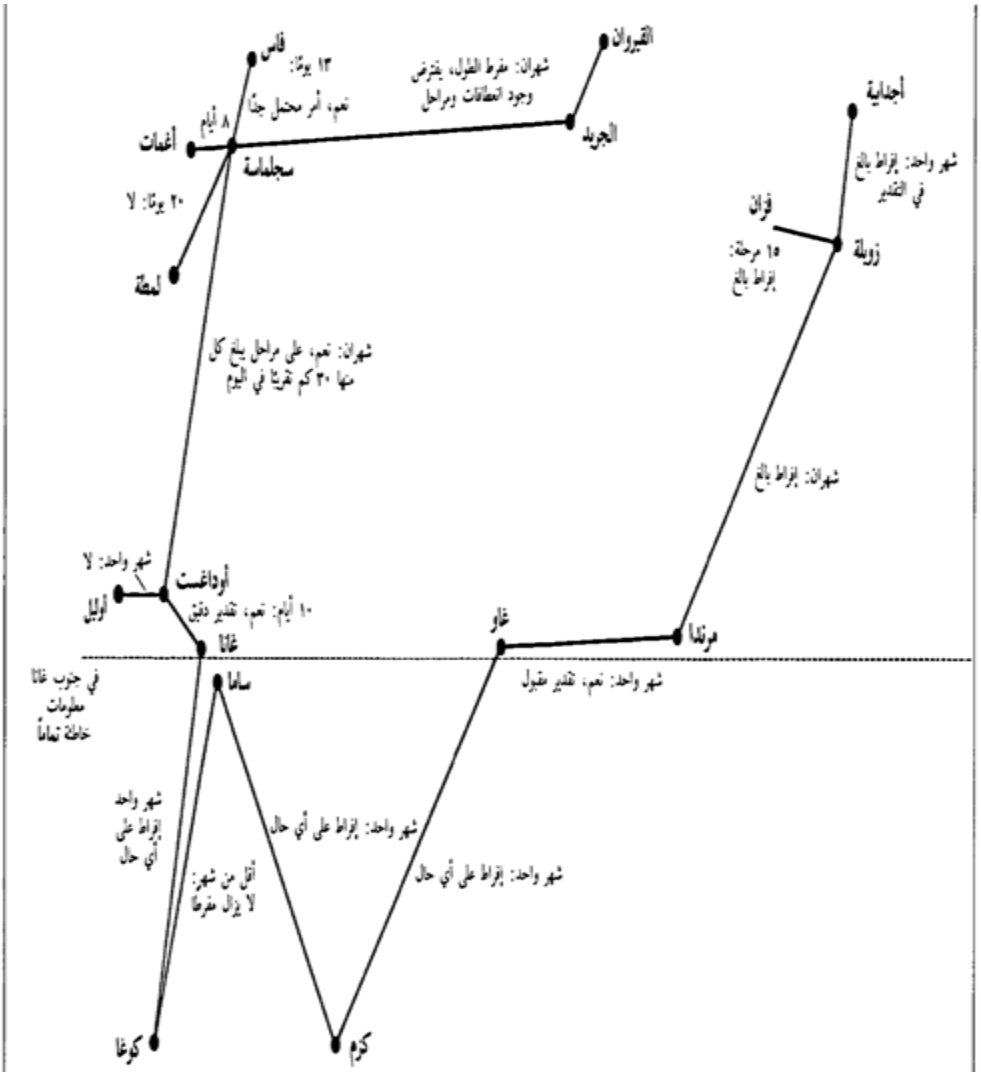

6- م.الفاسي: المرجع السابق ص407.

الملحق رقم 7 :خطوط السير التي حددها البكري الجزء الغربي.

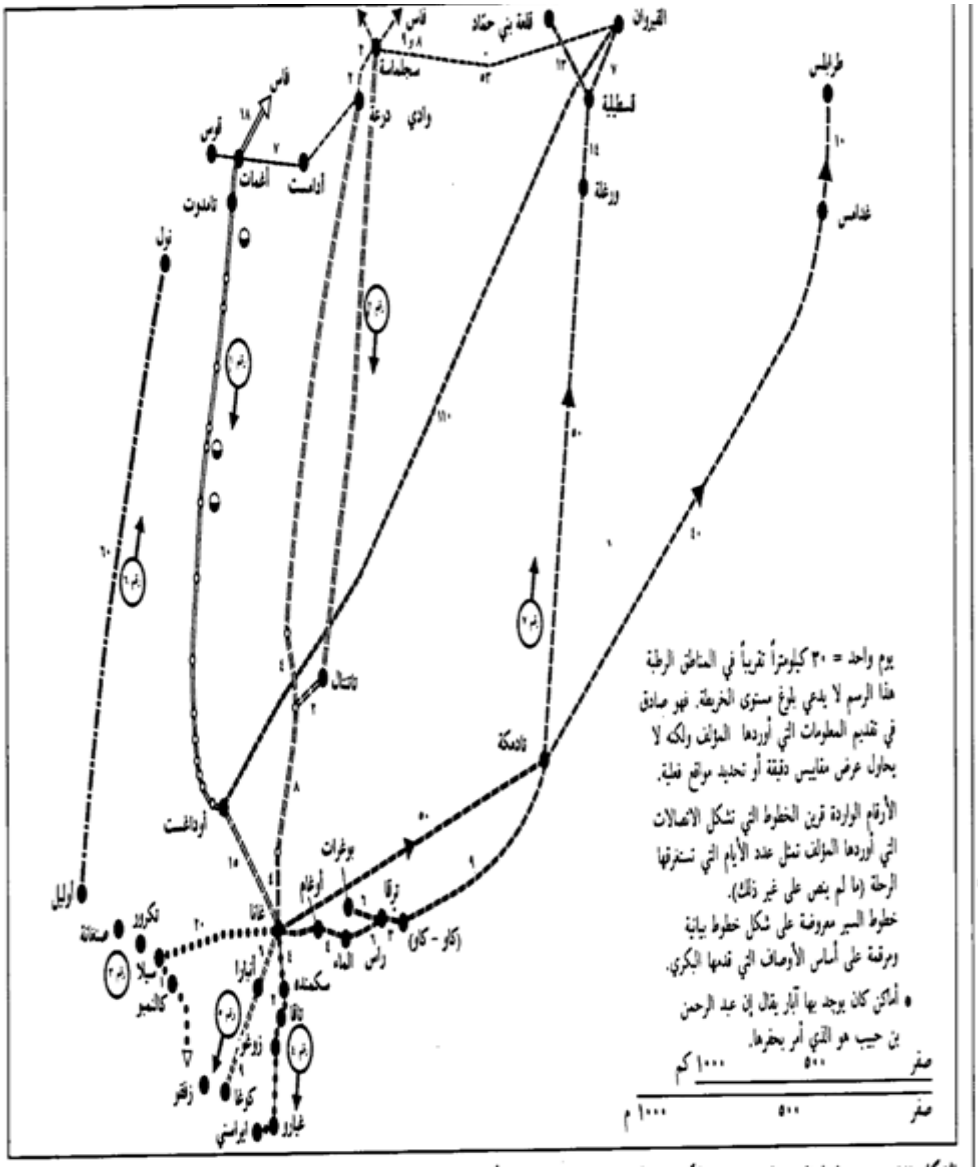

7- م.الفاسي: المرجع السابق ص449.

الملحق رقم8 :خطوط السير التي حددها الإدريسي.

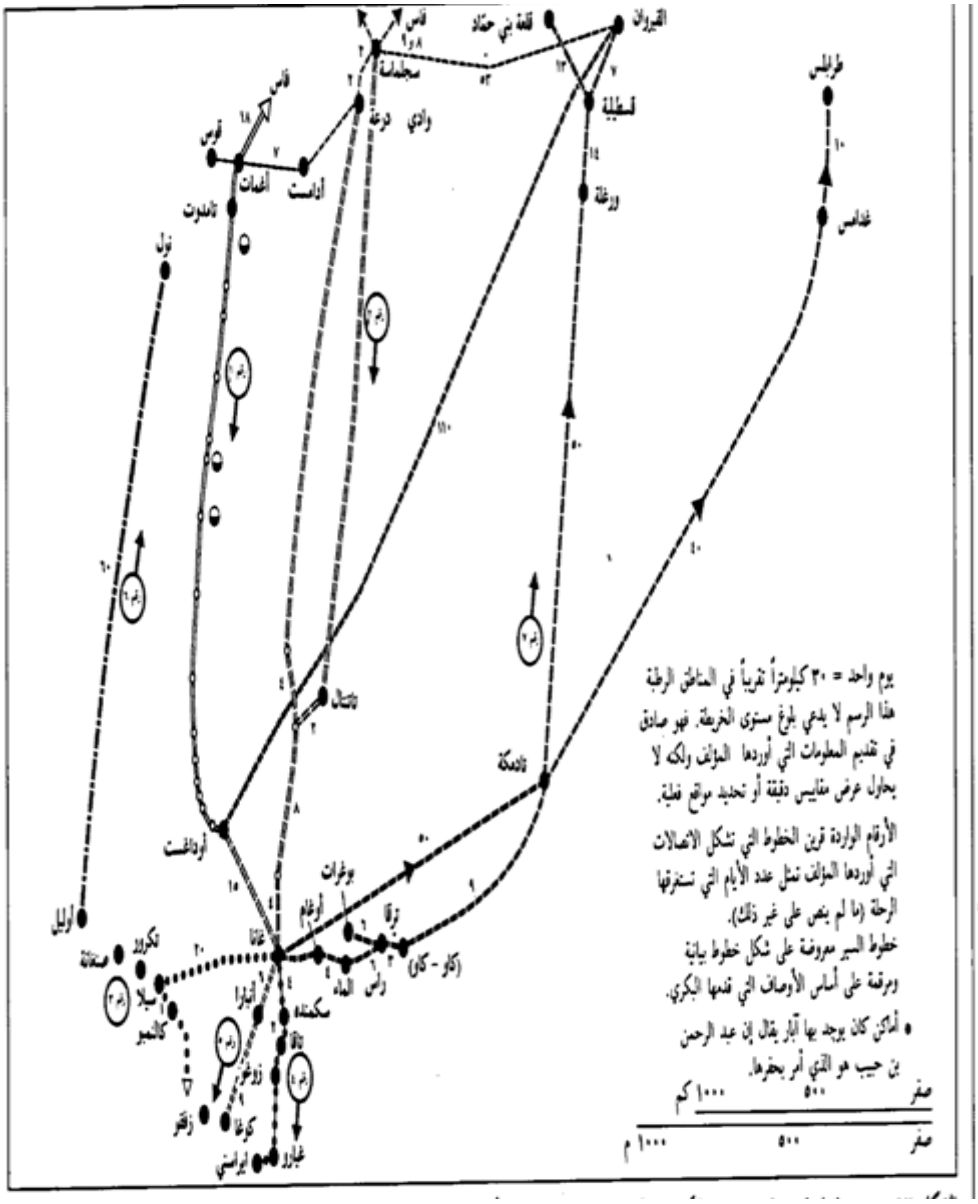

8 م.الفاسي: المرجع السابق ص 453.

الملحق رقم9:مناطق إنتاج الذهب في غرب إفريقيا.

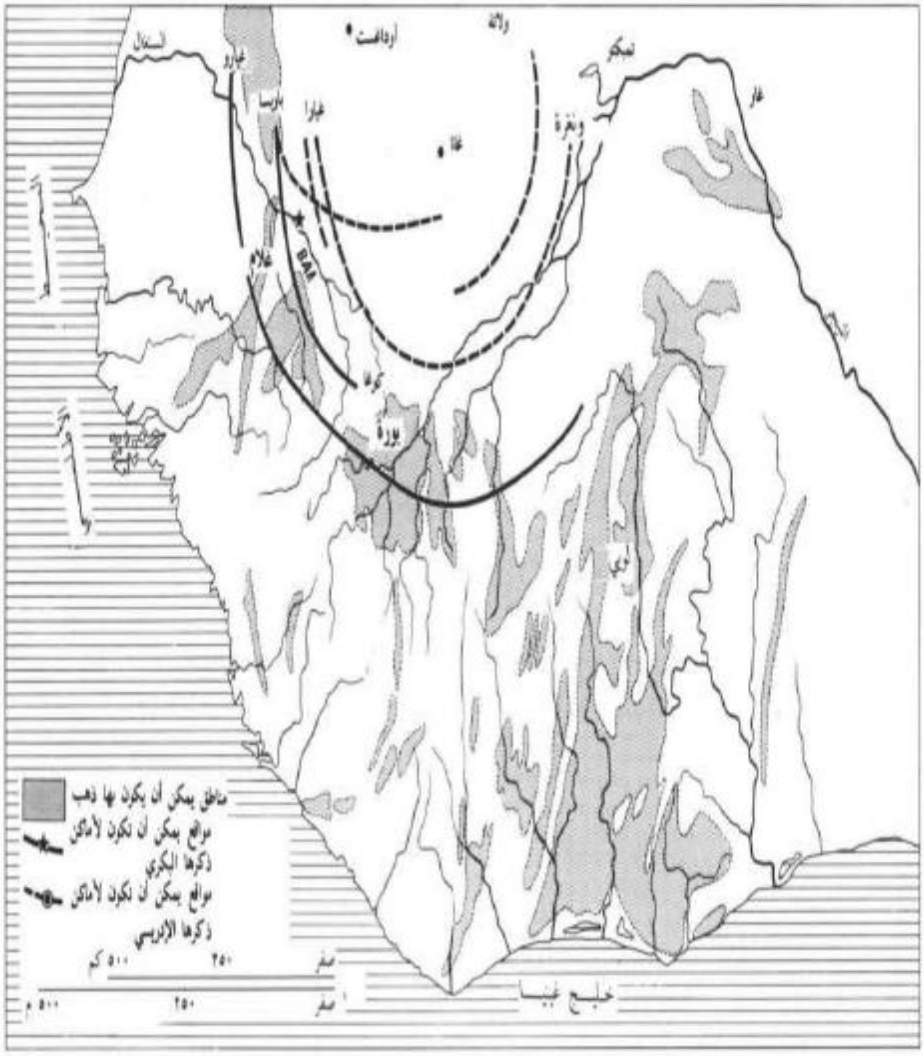

9 م.الفاسي: المرجع السابق ص 467.

الملحق رقم 10:صورة لنوع الخزف.

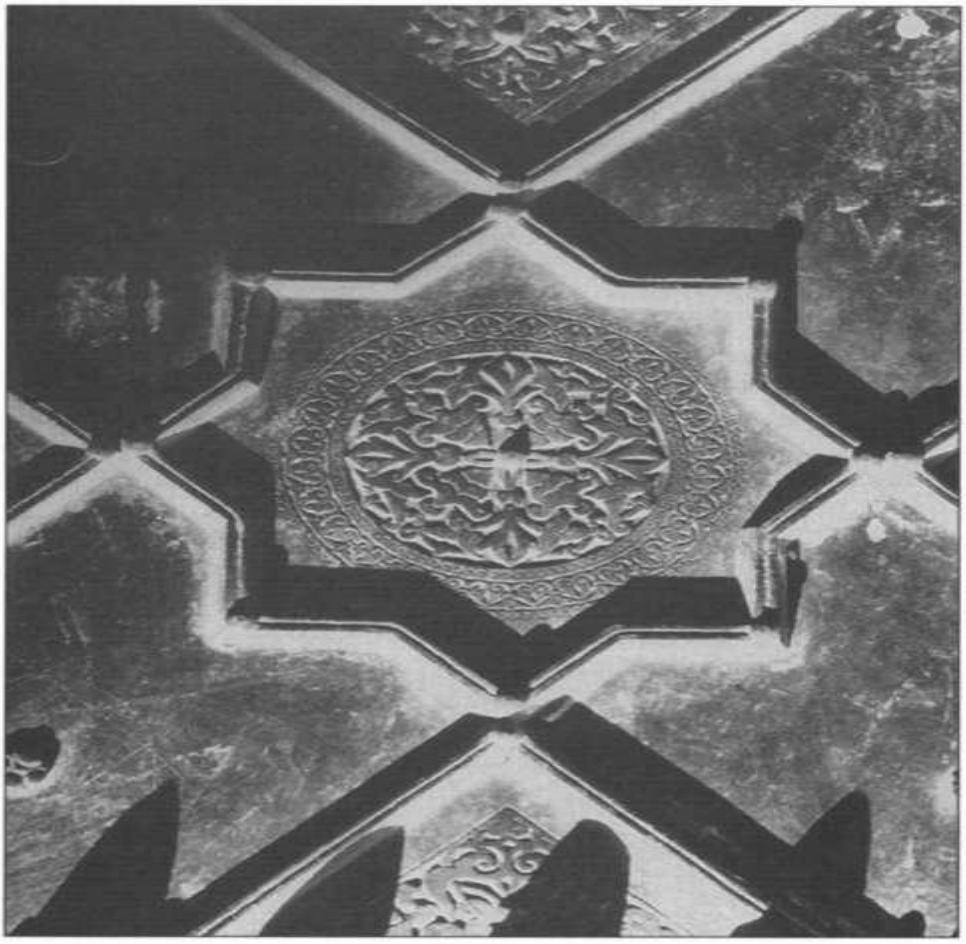

10 م.الفاسي: المرجع السابق ص430.

الملحق رقم 11:خيوط فضية و سبائك ذهبية.

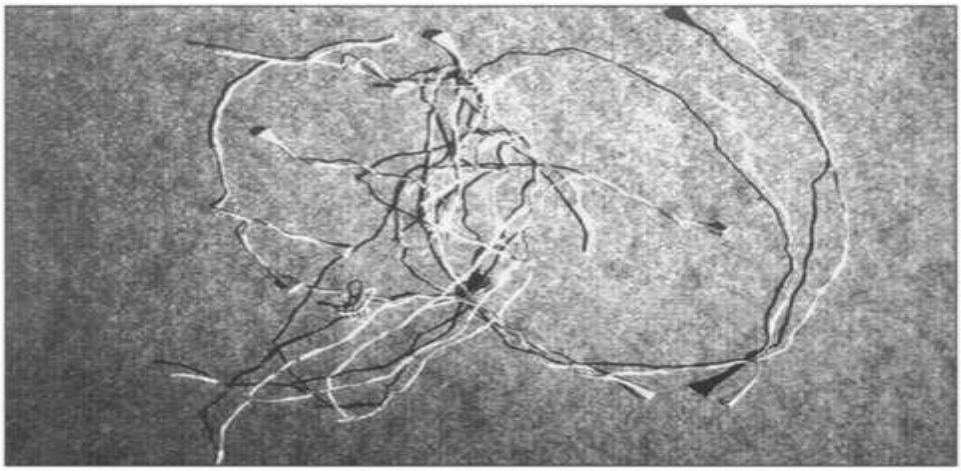

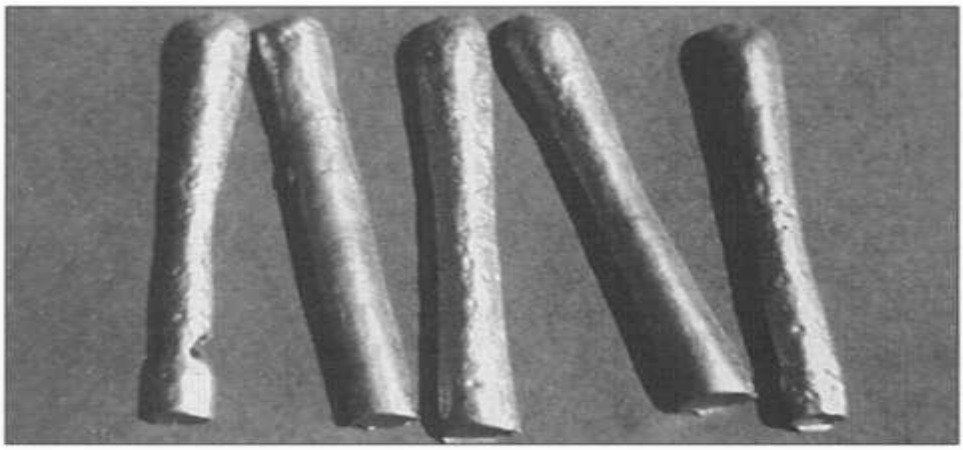

11 م.الفاسي: المرجع السابق ص460.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

بالعربية:

1. المصادر:

1. المقري احمد، نفح الطيب،(د-ن) بيروت، 1968،المجلد الثالث.

2. ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م.
3. ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (المعروف بتاريخ بن خلدون)،المقدمة، دار الكتب العلمية، ط3، لبنان(د ن).
4. ابن عذاري: (**أبو عبد الله المراكشي**): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. مكتبة صادر، بيروت،1950م

5. الادريسي(ابو عبد الله محمد الشريف الادريسي): نزهة المشتاق في اخترق الافاق(د ن) (د م) (دت).
6. الزهري (ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ت اواسط القرن 6هـ/12م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة(د ت).

7. الوزان حسن بن محمد الفاسي: وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت، 1989م، ج1.
8. باريما باري عثمان: جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي، دار امين، ط1، القاهرة، 2000م.
9. -ابن بطوطة: (**ابو عبد الله محمد بن إبراهيم**): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (المعروف بالرحلة). دار صادر، بيروت،1992م.

10.البكري (ابو عبيد بن عبد العزيز 487هـ/1094م) المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة(د ت).

11 -الجزنائى علي: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: ابن منصور عبد الوهاب، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1411هـ/1991م.

2- المراجع:

1. إسماعيل محمود: الادارسة 172-375هـ، حقائق جديدة، مكتبة مديولي، القاهرة، 1991م.

2.البخاري حمودة اصلاح محمد: انتشار الاسلام والثقافة العربية في افريقيا فيما وراء الصحراء، دار الكتب، ط1، ليبيا،2004.

3الجمل شوقي عطا الله و عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: تاريخ المسلمين في افريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م.

4. السعدي عبد الرحمن ، تاريخ السودان ، طبعة هوداس ، ط1 ،فرنسا ، 1893 .

5. الشكري احمد: الاسلام والمجتمع السوداني امبراطورية مالي 1230م- 1430هـ، المجمع الثقافي، ط1، ابوظبي، 1999م.

6. العربي إسماعيل : المدن المغربية ، المؤسسة الوطنية،للكتاب الجزائر، 1984.

7. الناصري(ابو العباس احمد بن خالد): الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى، الدار البيضاء،1955،جزء الخامس.

8. بن المنصور عبد الوهاب: قبائل المغرب، المطبعة الملكية ناشر الرباط، الجزء الاول، 1388-1968م.

9. جلال يحي: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، 1999م.

10. حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام في القرة الافريقية، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1963م.

11. حسن احمد محمود: الاسلام والثقافة العربية في افريقيا، دار الفكر العربي، مصر، 1999م.

12. دندش عصمت عبد اللطيف: دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا 450هـ- 551هـ/ 1038 م- 1221م، دار الغرب الاسلامي، ط1، لبنان، 1988م.

13. سوادي عبد محمد والحاج عمار صالح: دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ط1، القاهرة، 2004م.

14. طه جمال احمد: فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،

إسكندرية، 2001م.

15. عباس سعدون نصر الله: دولة الادارسة في العصر الذهبي 172-223هـ/788-735م, دار النهضة العربية1987م، ط20.

16. عبدالحميد بخوفي: الادارسة بتلمسان، فاس، قرطبة، و فروع الادارسة في بلاد المغرب ,طبع بدعم من الثقافة بمناسبة التظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية,2011م.

17. قاسم عبد الحكيم عبد الغني: المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، ط2، مصر، 1999م.

18. إبراهيم طرخان:إمبراطورية غانة الإسلامية،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،القاهرة 1970م.

19. السيد محمود، تاريخ دولتي المرابطتين و لموحديين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008م.

20. العربي محمد: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة و النشر.

21. العقبي صالح مؤيد: الطرق الصوفية بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، 2009م.

22. الفيتوري عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء، منشورات جامعة فان يونس، ط1، ليبيا، 1998م.

23. توماس آرلوند: الدعوة الى الاسلام، ترجمة: حسن ابراهيم، مكتبة النهضة المصرية، ط1، مصر، 1947 م.

24. حسن محمد نبيلة: تاريخ الحضارة الاسلامية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية(د ت).

25. دي ، فيج جي ، تاريخ غرب إفريقيا ، تر السيد يوسف ، ط1 ، دار المعارف ، مصر ، 1982م.

26. ذهني محمد علي الهام: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850-1914 م، دار المريخ، الرياض ، 1988م.

27. زبادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

28. قداح نعيم ، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية ، الشركة الوطنية للطباعة والنشر ، الجزائر ، 1975م.

29. كربخال مارمول: إفريقيا، ترجمة:محمد حجي، محمد زينر وآخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

30. مؤنس حسين: الطرق الصوفية واثرها في نشر الاسلام، مكتبة الثقافة العربية الدينية، ط1، بور

سعيد، الطاهر، 2000م.

المذكرات والمجلات:

1. –البياتي محمد بان علي: النشاط التجاري في المغرب الاقصى خلال القرنين 3-5هـ/9-11م.(رسالة ماجستير)، جامعة بغداد، 2004م.

2. –بعارسية صباح: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي،(أطروحة لنيل شهادة ماجستير) كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006/2005م.

3. –بلغيث محمد الأمين الحياة الفكرية في عصر الرابطين ،(أطروحة لنيل شهادة دكتورا دولة في التاريخ الإسلامي)،جامعة الجزائر ,2003م.

4. –شعباني نور الدين: علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الاسلامي واثارها الحضاري بين القرنيين الخامس والتاسع الهجريين (أطروحة لنيل شهادة ماجستير)كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة بوزريعة، 2005-2006م.

5. –رجب محمد عبد الحليم و الجمل شوقي عطا الله و اخرون: الموسوعة الافريقية (لمحة عن تاريخ القارة الإفريقية)،معهد البحوث والدراسات.

6. –الحفني عبد المنعم : الموسوعة الصوفية ، دار الرشاد ، ط1 ، مصر ، 1992م.

7. ¯مصطفاوي سعاد: دور الطريقة القادرية في غرب افريقيا بين القرنين 15و18م، (أطروحة لنيل شهادة ماجستير) كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010م.

الدوريات:

1- الحسين عماري : فاس حلقة لتفاعل الحضاري بين المغرب و إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث و بداية المعاصر،(دورية تاريخية العدد السابع عشر)، سبتمبر2012.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان

البسملة

الاهداء

كلمة الشكر

المقدمة .....06.

الفصل الاول: لمحة جغرافية وتاريخية لمدينة فاس

المبحث الاول: لمحة جغرافية لمدينة فاس

المطلب الاول: التحديد الجغرافي لفاس..... 14.

المطلب الثاني: التضاريس و المناخ.....15.

1-التضاريس.....15.

2-المناخ.....15.

المطلب الثالث: وصف مدينة فاس.....16.

1-اقسامها.....16.

2-تخطيطها.....17.

3-الانهار والعيون.....18.

4-الحدائق والبساتين.....19.

المبحث الثاني: لمحة تاريخية

المطلب الاول: بناء مدينة فاس في عهد الادارسة.....21.

فهرس المحتويات

المطلب الثاني: تطور مدينة فاس في عصر المرابطين.....24.

المطلب الثالث: تطور مدينة فاس في عصر الموحدين.....26.

الفصل الثاني: النشاط السياسي والاقتصادي لمدينة فاس

المبحث الاول: النشاط السياسي لمدينة فاس

المطلب الاول: في عهد الادارسة.....29.

المطلب الثاني: سياسة المرابطين في فاس.....31.

المطلب الثالث: الحياة السياسية في عهد الموحدين.....34.

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية مع افريقيا جنوب الصحراء

المطلب الاول: الحياة الاقتصادية.....35.

1-في عهد الادارسة.....35.

2-في عهد المرابطين.....36.

3-في عهد الموحدين.....37.

المطلب الثاني: الطرق والمراكز التجارية بين فاس والسودان الغربي.....

1-الطرق التجارية.....38.

2-المراكز التجارية.....40.

المطلب الثالث: المعاملات التجارية.....44.

1-الصادرات.....44

2-الواردات .....46.

فهرس المحتويات

الفصل الثالث: العلاقات الدينية والثقافية

المبحث الاول: العلاقات الدينية

المطلب الاول: انتشار الاسلام.....50.

المطلب الثاني: الطرق الصوفية ودورها في نشر الاسلام.....60

المبحث الثاني: العلاقات الثقافية

المطلب الاول: نشر اللغة العربية.....68.

المطلب الثاني: نشر التعليم.....71.

المطلب الثالث: المؤسسات التعليمية ودورها في التعليم العربي.....73.

1- نشاط المساجد.....74.

2- نشاط المدارس القرانية (الكتاتيب).....75.

3- نشاط الزوايا.....77.

الخاتمة.....79.

ملاحق.....82

قائمة المصادر والمراجع.....94

فهرس المحتويات.....99